

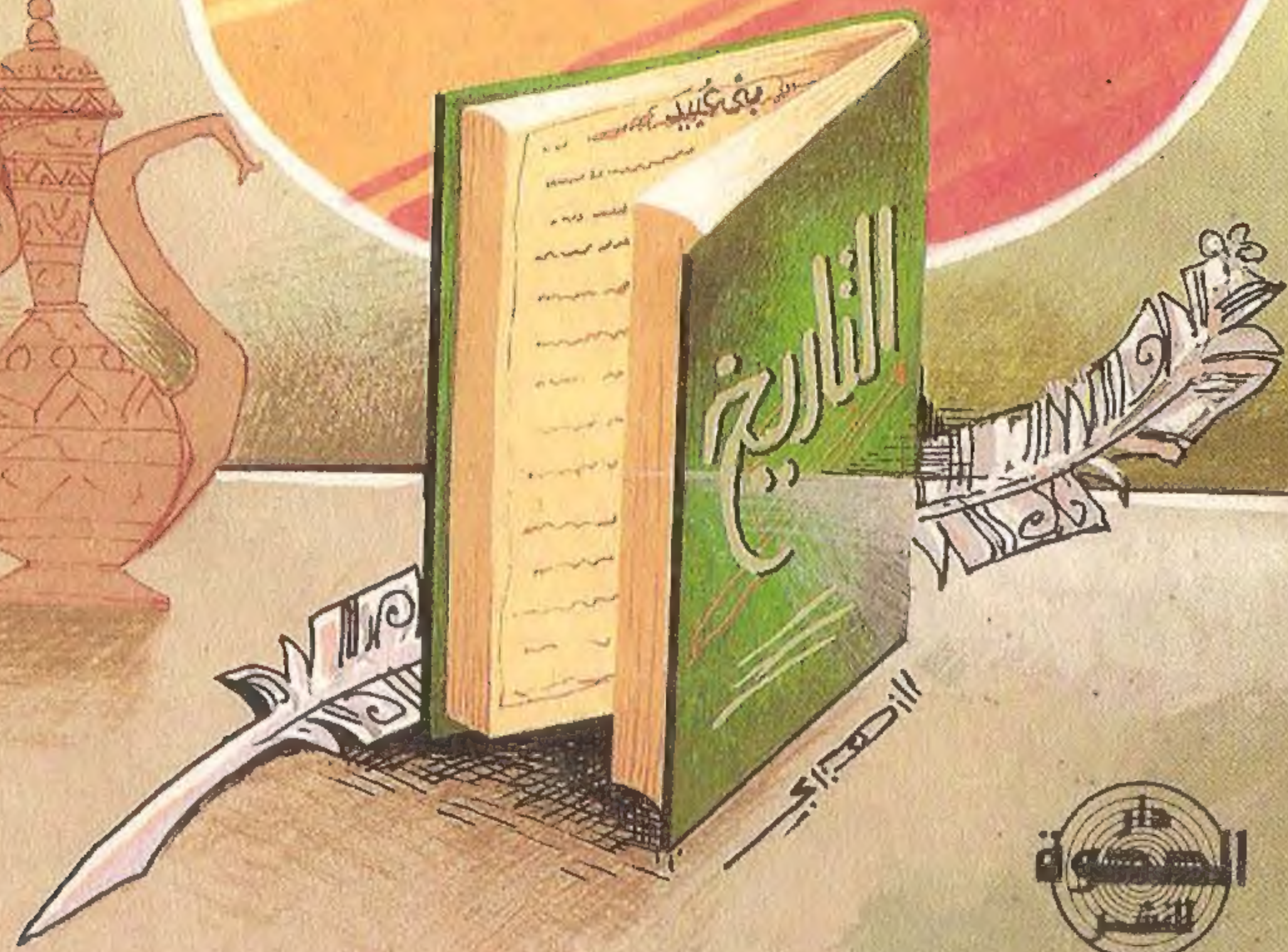
أخبار ملوك بني عبدوسبرتم

لأبي عبد الله محمد بن علي بن حماد

تحقيق ودراسة

دكتور عبد الحليم عويس

دكتور التهامي نفرة



هذا الكتاب

يؤرخ لسيرة الفاطميين في المغرب (٢٩٨ - ٣٦١ هـ) وفي مصر (٣٦٢ - ٥٦٤ هـ).

وفي كلا الدولتين : المغرب ومصر لم يبق للفاطميين أثر مذهبي بعد ذهابهم إلا في بعض الموالد والمظاهر والأحفال التي روجوا لها هنا وهناك وثمة قضية نراها جديرة بالبحث — ترتبط بالفاطميين إذا ما ذكرنا ... إنها قضية حقيقة هؤلاء القوم الذين شغلوا الدنيا نحو ثلاثة قرون سواء في المغرب أو المشرق .

كاد الرأي القائل بأن الفاطميين من نسل فاطمة بنت محمد ﷺ أن ينتصر في فترة من الفترات ، وكادت الآراء التي روجت له تغلب غيرها ، لشهرة قائلها ، ولأن مخالفهم إنما هم خصوم للفاطميين ، وحرى بالخصم أن لا يؤخذ رأيه في خصمه ، لولا أن منهج النقد التاريخي قد اتضحت معالمه وأصبح قادراً على أن يرشدنا إلى الآراء الأخرى .

دار الصحوة

٧ ش السراى بالمنيل . ت : ٩٨٧٩٢٤

حدائق حلوان . ت : ٦٨٨٠٧١

القاهرة

حقوق الطبع محفوظة

دار الصحوة

للنشر والتوزيع

٧ شارع السراى بالمنيل - القاهرة

تليفون : ٩٨٧٩٢٤

أخبار

ملوك بنى عبیدوسیرم



تحليل لتاريخ الدولة الفاطمية من خلال مصدر تراثي

أخبار

ملوك بني عبيد وسيرتهم

لأب عبد الله محمد بن علي بن حماد

تحقيق ودراسة

د. عبد الحليم عويس

د. التهامي نقرة



بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

ترجمة المؤلف

مؤلف هذا الكتاب من المؤرخين الجزائريين الذين عاشوا عقيب سقوط دولة بني حماد التي انفصلت عن بني زيري ، وحكمت المغرب الأوسط (الجزائر) خلال فترة تقرب من نصف قرن (٤٠٥ - ٥٤٢ هـ) . . وإلى حكام هذه الدولة الأشاوس ينتسب مؤلف هذه المخطوطة ، ومن مجدها يأخذ بعض مجده . وإلى عاصمتها الأولى (قلعة بني حماد) يعود بأصله .

وكانت دولة بني حماد قد خلفت تراثاً حضارياً مزدهراً في عاصمتها الحضارية (بجاية) التي نافست القيروان ، بل قامت مقامها بعد أن دمرها أعراب بني هلال وبني سليم ، فأصبحت (بجاية) الحاضر الكبرى بالمغرب العربي الإسلامي . وحسبك دلالة على الحالة الثقافية في المغرب الأوسط بعامة ، وبجاية بخاصة ، ما أورده أبو العباس الغبريني في كتابه (عنوان الدراية فيمن عرف عن العلماء في المائة السابعة ببجاية) إذ أنه بعد أن أورد عشرات العلماء قبيل القرن السابع . . اعتذر بأنه لا يستطيع أن

يستمر في حصرهم — لكثرتهم — وحيث إن شرط الكتاب (وهو القرن السابع) لا يشملهم .

في ظلال هذا المجد الحمادي ، وفي حمى دولة الموحدين التي ورثت هذا المجد وحكمت المغرب العربي الإسلامي كله من منتصف القرن السادس حتى منتصف القرن السابع — عاش صاحبنا أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي العلامة المحدث الأديب المؤرخ .

وقد ترجم لأبي عبد الله كثيرون في القديم والحديث ، فمن ترجم له أبو العباس الغبريني (ت ٧١٤) في كتاب الآنف الذكر (عنوان الدراية) ، كما ترجم له لسان الدين بن الخطيب (٧٧٦ هـ) في أعمال الأعلام (الجزء الثالث) ، ولا ماري في المكتبة الصقلية ، والكتاني في فهرس الفهارس (الجزء الثاني) ومحمد بن محمد مخلوف في (الشجرة الزكية في طبقات المالكية) ، وعبد السلام بن عبد القادر بن سودة في (دليل مؤرخ المغرب الأقصى) ، وخير الدين الزركلي في (الأعلام) وعمر رضا كحالة في (معجم المؤلفين) .

ولاتضيف التراجم اللاحقة على ترجمة أبي العباس الغبريني كثيراً ، إذ أن أبا العباس الغبريني كان من معاصري أبي عبد الله ابن حماد في المكان والزمان ، ولذا كان به أبصر ، وعلى الترجمة الصادقة له أقدر .

قال الغبريني في ترجمة ابن حماد :

« ومنهم الشيخ الأجل الفقيه الرئيس الأكل العالم الأوحى أبو عبد الرحمن بن علي بن حماد بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي أصله من قرية تعرف بحمزة من حوزة قلعة بني حماد وهو من أهل قلعة بني حماد من كبراء الأئمة وفضلائهم قرأ ببليدة بالقلعة وكانت حاضرة علم ، وقرأ ببجاية ولقي بها جلة منهم الشيخ أبو مدين رضي الله عنه .

قال في برناجه : إنه سمع عليه كتاب المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى من فاتحته إلى خاتمته قراءة تفقه قال : فأول مجلس حضرته عليه أردت أن أقيد ما يقوله على الكتاب قال فشيت إلى دار وقيدت ما علق بخاطري من كلامه ، فلما كان من الغد ووقع الحضور للدرس كان أول ما افتتح به الشيخ كلامه أن قال أنا لا أريد أن يقيد على شيء مما أقوله على هذا الكتاب أو كلاماً هذا معناه فكانت تلك إحدى كراماته رضي الله عنه التي شاهدتها منه فأمسكت عن التقييد . قال وكان ذلك بداره ببجاية سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة . ومنهم القاضي المحدث العالم أبو محمد عبد الحق الأزدي الأشبيلي روى عنه مباشرة ببجاية كتاب الموطأ وغيره من الكتب وروى عنه بواسطة عن الأستاذ أبي ذر مصعب بن محمد ، عنه وهذا مما يدل على فضله فإن المؤلف أن الإنسان إذا شارك الشيخ لا يروى عنه بواسطة غير أن هذا

يستمر في حصرهم — لكثرتهم — وحيث إن شرط الكتاب (وهو القرن السابع) لا يشملهم .

في ظلال هذا المجد الحمادي ، وفي حمى دولة الموحدين التي ورثت هذا المجد وحكمت المغرب العربي الإسلامي كله من منتصف القرن السادس حتى منتصف القرن السابع — عاش صاحبنا أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي العلامة المحدث الأديب المؤرخ .

وقد ترجم لأبي عبد الله كثيرون في القديم والحديث ، فمن ترجم له أبو العباس الغبريني (ت ٧١٤) في كتاب الآنف الذكر (عنوان الدراية) ، كما ترجم له لسان الدين بن الخطيب (٧٧٦ هـ) في أعمال الأعلام (الجزء الثالث) ، ولا ماري في المكتبة الصقلية ، والكتاني في فهرس الفهارس (الجزء الثاني) ، ومحمد بن محمد مخلوف في (الشجرة الزكية في طبقات المالكية) ، وعبد السلام بن عبد القادر بن سودة في (دليل مؤرخ المغرب الأقصى) ، وخير الدين الزركلي في (الأعلام) وعمر رضا كحالة في (معجم المؤلفين) .

ولاتضيف التراجم اللاحقة على ترجمة أبي العباس الغبريني كثيراً ، إذ أن أبا العباس الغبريني كان من معاصري أبي عبد الله ابن حماد في المكان والزمان ، ولذا كان به أبصر ، وعلى الترجمة الصادقة له أقدر .

قال الغبريني في ترجمة ابن حماد :

« ومنهم الشيخ الأجل الفقيه الرئيس الأكمل العالم الأواحد أبو عبد الرحمن بن علي بن حماد بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي أصله من قرية تعرف بحمزة من حوزة قلعة بني حماد وهو من أهل قلعة بني حماد من كبراء الأئمة وفضلائهم قرأ ببليدة بالقلعة وكانت حاضرة علم ، وقرأ ببجاية ولقي بها جلة منهم الشيخ أبو مدين رضى الله عنه .

قال في برناجه : إنه سمع عليه كتاب المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى من فاتحته إلى خاتمته قراءة تفقه قال : فأول مجلس حضرته عليه أردت أن أقيد ما يقوله على الكتاب قال فشيئت إلى دار وقيدت ما علق بخاطري من كلامه ، فلما كان من الغد ووقع الحضور للدرس كان أول ما افتتح به الشيخ كلامه أن قال أنا لا أريد أن يقيد على شيء مما أقوله على هذا الكتاب أو كلاماً هذا معناه فكانت تلك إحدى كراماته رضى الله عنه التي شاهدها منه فأمسكت عن التقييد . قال وكان ذلك بداره ببجاية سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة . ومنهم القاضي المحدث العالم أبو محمد عبد الحق الأزدي الأشبيلي روى عنه مباشرة ببجاية كتاب الموطأ وغيره من الكتب وروى عنه بواسطة عن الأستاذ أبي ذر مصعب بن محمد ، عنه وهذا مما يدل على فضله فإن المألوف أن الإنسان إذا شارك الشيخ لا يروى عنه بواسطة غير أن هذا

إنما هو من رعونات النفس ، والحق أن الإنسان كيف ما وجد الفائدة تلقاها ، ومنهم القاضي الإمام أبو علي المسيلي ومنهم القاضي العالم أبو تميم يحمون بن جباره وأبو العباس بن مبشر ، ولقي غير هؤلاء بالقلعة والجزائر وتلمسان وغيرها من بلاد المغرب ، ومن جملة من أخذ عنه القاضي العالم أبو عبد الله محمد بن عبد الحق ابن سليمان التلمساني وغير هؤلاء من صدور العلماء ، ورأيت له برنامجاً ذكر فيه شيوخه ومقروءاته من الكتب يشتمل على مائتي كتاب واثنين وعشرين (في نسخة وأربعين) كتاباً كلها مسندة إلى مؤلفيها مذكور السند فيها ، وما رأيت برنامجاً أحسن منه لأن أكثر البرنامجات تقع فيها الإحالات إما في الكل أو في البعض إلا هذا البرنامج فإنه ما أحال فيه على كتاب أصلاً وذكر فيه أنه تلخص كتاب الطبري يعني تاريخه وكل من روى عنه فما هو إلا من الجلة الأعلام واشتهر عنه رحمه الله في التحصيل والعلم أكثر مما اشتمل عليه برنامجه . والذي يدل عليه برنامجه من علومه هو علم القرآن العزيز وعلم الحديث وعلم الأصول وعلم النحو وعلم الأدب والتاريخ وعلوم الرقائق والأذكار وكان له في كل فن من هذه الفنون حظ وافر وعلم باهر ولى قضاء الجزائر (كذا في جميع النسخ) الخضراء ثم صرف عنها وولى قضاء مسلي سنة ثلاث عشرة وستائة . وله تأليف منها كتاب الإعلام بفوائد الأحكام لعبد الحق الأشبيلي وشرح مقصورة ابن دريد ، وله تاريخ سماه بالنبد

المحتاجه في أخبار صنهاجة بإفريقية وبجاية ، وتوفي سنة ثمان وعشرين وستائة — (١٢٣١ م) وقال ابن زيتون (في نسختين لابن فرتون) في عشر الأربعين وستائة وكان ينيف على الثمانين رحمه الله ، ويتصل لإسناده عنه من طريق الفقيه أبي عبد الله الخطيب عن أبي محمد ابن بوطلة عنه ! ! .

مناقشة لنسب الفاطميين

ويؤرخ هذا المخطوط لسيرة الفاطميين في المغرب (٢٩٨ هـ — ٣٦١ هـ) بعد أن فتح المغرب — فتح دعوة وسيف — أبو عبيد الله الشيعي لحساب أبي عبيد الله المهدي ، ولسيرتهم في مصر (٣٦٢ — ٥٦٤ هـ) بعد أن فتحها لحسابهم — فتح سيف — قائد المعز لدين الله الفاطمي المعروف (جوهر الصقلي) .

وفي كلا الدولتين : المغرب ومصر لم يبق للفاطميين أثر مذهبي بعد ذهابهم اللهم إلا في بعض الموالد والمظاهر والأحفال التي روجوا لها هنا وهناك .

وثمة قضية نراها جديرة بالبحث — من وجهة نظرنا — ترتبط بالفاطميين ؛ إذا ماذكروا . . إنها قضية حقيقة هؤلاء القوم الذين شغلوا الدنيا نحو ثلاثة قرون سواء في المغرب أو في المشرق .

وفي فترة من الفترات ، وهذا ما دعانا لإعادة الحديث هنا ، كاد الرأي القائل بأن الفاطميين من نسل فاطمة بنت محمد صلى

الله عليه وسلم ينتصر ، وكادت الآراء التي روجت له تغلب غيرها ، لشهرة قائلها ، ولأن مخالفهم إنما هم خصوم للفاطميين ، وحرى بالخصم أن لا يؤخذ رأيه في خصمه ؟ .

ولم لا ؟ ومن القائلين بصحة نسبهم (١) العلامة عبد الرحمن ابن خلدون (٨٠٨ هـ) الذي اعتبر التشكيك في نسبهم بعض مظاهر (التوهم) في التاريخ ، فكاد — بالتالي — يصادر الآراء الأخرى ، لولا أن منهج النقد التاريخي قد اتضحت معالمه ، وأصبح قادراً على أن يرشدنا إلى آراء أخرى .

بل إن بعض المؤرخين الثقات كابن الأثير في الكامل (٦٣٠ هـ) والمقرئزي في الخطط المقريرية (٨٤٥ هـ) يدافعون عن نسب الفاطميين ، وكأنهم قد وضعوا أيديهم على ما يؤكد ذلك .

ولو اطلع هؤلاء المؤرخون على ما أورده صاحبنا (أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد) في مخطوطه موضوع الحديث (أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم) لضموه إلى جملة الآراء التي يستشهدون بها دليلاً على صحة رأيهم .

إن صاحبنا في الصفحة السادسة من مخطوطه ، وهو بصدد الحديث عن عبيد الله المهدي — يقول :

« اختلف الناس في نسبه إلى الحسين بن علي عليهما السلام ، فمن مسلمين ما ادعاه ، ومقرئين بما حكاه ، ومن دافعين ومانعين ما انتحله ، ولا يزالون مختلفين إلا من رحم الله . فالذي ادعاه هو أنه عبيد الله بن محمد بن الحسين بن محمد بن إسماعيل بن جعفر ابن محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم . والذي ادعاه الناس لا برهان عليه فلا حاجة لي إليه » .

أما المحدثون ممن ذهبوا إلى صحة نسبهم فهم كثيرون نذكر منهم كارل بروكلمان ، والدكتور أحمد شلبي (انظر الجزء الرابع من موسوعة التاريخ الإسلامي) والدكتور إبراهيم شعوط في كتابه (أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ) .

كما ذهب إلى هذا الرأي الدكتور حسن إبراهيم حسن ، والدكتور محمد جمال الدين سرور . ومال إليه — بشيء من التردد — المستشرق — كترمير

ومن بين هؤلاء يبدو موقف الدكتور إبراهيم شعوط أكثر المواقف تأييداً لصحة نسب الفاطميين (١) وتحمساً لهذا الرأي ، وهو لم يكتف بما ذهب إليه ابن خلدون من أن الطعن في هذا النسب من أوهام المؤرخين ، بل إنه جعل هذا الطعن عملاً معادياً للإسلام

(١) أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ الطبعة الرابعة مطبعة دار التأليف ١٩٧٦ م بمصر صفحات من ٢٤٨ إلى ٢٦٣ .

(١) انظر المقدمة (ص ١٢١) طبعة ١٩٠٠ هـ .

يقول الدكتور شعوط :

إن قضية الطعن في نسب الفاطميين يتولاها رجل علوى هو الشريف أخو محسن محمد بن على بن الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن جعفر الصادق ، حيث يقول : إن عبيد الله المهدي هو سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح بن ديمان الشنوي الأهوازي ، وأصله من المحوس .

ثم يعود أخو محسن ويذكر أن سعيداً الذي عرف باسم عبيد الله المهدي أول خلفاء الفاطميين — إنما كان ابن حداد يهودى مجهول ، تزوجت أرملة بالحسين بن أحمد بن عبد الله ابن ميمون القداح فتبنى سعيداً هذا ، وأدبه وعلمه أسرار مذاهب الإسماعيلية ، لأن الحسين لم يعقب من زوجته امرأة يهودى .

وتبع الشريف « أخو محسن » في هذا الرأى ، جماعة من أعلام المؤرخين العرب ، أمثال أبى بكر الباقلانى ، وابن واصل ، والذهبي . . ومن المؤرخين المستشرقين (ديغويه) و (مستنفلد) و (دوزى) .

ثم أخذ أولئك الطاعنون في نسب الفاطميين ، يلتمسون ما يظنون أنه يؤيدهم في إنكار نسب هؤلاء إلى على رضى الله عنه .

ويمكن إجمال حججهم فيما يأتى :

أولاً : يذكر ابن خلكان أن المعز لدين الله الفاطمى ، حين

وصل إلى مصر ، اجتمع به بعض الأشراف . وسأله أحدهم وهو الشريف (ابن طباطبا) قائلاً : إلى من ينتسب مولانا ؟ فأجابه المعز بأنه سيعقد مجلساً يضمهم ويرد عليهم نسبه . فلما انعقد المجلس في القصر ، وضع المعز يده على مقبض سيفه وجذبه من جرابه إلى النصف وقال : « هذا نسبي » ثم مد يده الأخرى بمقدار من الذهب ونثره عليهم ، وقال : « وهذا حسبي » فأجابوه جميعاً بالسمع والطاعة .

ثم ذكر ابن خلكان : أن المصريين اعتبروا هذا التصرف فراراً من الجواب ، لأنه مدخول في نسبه .

ثانياً : روى الثعالبي في « يتيمة الدهر » أن صاحب مصر ، أرسل إلى عبد الرحمن الناصر الأموى صاحب الأندلس ، كتاباً يسبه فيه ويهجوّه . فرد عليه عبد الرحمن يقول له : « أما بعد ، فقد عرفتنا فهجوتنا ، ولو عرفناك لأجبناك » .

ثالثاً : ذكروا أن عبيد الله الشيعي — داعية الفاطميين في بلاد المغرب حين علم بسجن المهدي في مدينة سجلماسة ، وذهب ليخلصه ، وجده مقتولاً ، فأخذ مكانه رجلاً يهودياً كان في السجن ، وادّعى أنه هو عبيد الله المهدي صاحب الدعوة .

ومن هنا ، وجد الطعن في نسب الفاطميين .

رابعاً : اعتمدوا على ما قام به بعض الخلفاء العباسيين ،

مثل (المعتضد) و (القادر) من حمل العلويين في بغداد ، على توقيع محاضر ينفون فيها نسب هؤلاء القوم إلى فاطمة الزهراء .
ويعلق الدكتور شعوط على هذه الاعتراضات التي أوردها بقوله :
هذه الأمور الأربعة . . تعتبر أقوى ما استند إليه الطاعنون في نسب الفاطميين .

ولكننا - عند التحقيق التاريخي - نجدها لاتصلح للاعتماد عليها في نفي النسب الشريف إلى البيت العلوي ، عن هؤلاء القوم . وكل واحدة من هذه الأمور التي اعتمدوا عليها ، تحمل في طياتها ، ما يدحضها ويثبت تلفيقها .

وإليك البيان :-

أولاً : أن القول المنسوب إلى الشريف ابن طباطبا من سؤال المعز عن نسبه أظهرت الحقائق الثابتة بالأدلة الواضحة أنه غير صحيح . لأن ابن طباطبا توفي عام ٣٤٨ هـ بينما كان قلدوم المعز إلى مصر عام ٣٦٢ هـ فكيف لرجل توفي قبل مجيء المعز إلى مصر بأربعة عشر عاماً ، أن يسأله أو يجتمع به ؟ .

ثانياً : إن رواية الثعالبي التي يتهم فيها عبد الرحمن الناصر الأموي بالمعز لدين الله الفاطمي يتضح من أسلوبها ، أنها نوع من الاستعلاء الذي يحدث عادة بين متنافسين على ملك أوزعامة .

ومظهر من مظاهر التجاهل للخصم ، مهما كانت قوته . لأن العلاقة بينهما ، كانت باللغة أقصى حدود التوتر .

يذكر ابن خلكان (ج ٥ ص ٩) أن هذه الرواية معها رواية أخرى ، ينقلها أبو الحسن الرومي في كتاب « تحفة الظرفاء في تاريخ الخلفاء » أن هذه الواقعة للحاكم المستنصر بالله الأموي لما كان بينه وبين العزيز المذكور وأن المستنصر الأموي ، هو الذي كتب إلى العزيز يسبه . فكتب إليه العزيز « أما بعد . . إلخ » .

ثالثاً : أما حكاية اليهودي الذي نصبه أبو عبد الله الشيعي بدل عبيد الله المهدي ، فهي موضوع تساؤل شديد - منذ قديم - عن الدافع الذي حمل أبا عبد الله الشيعي على هذا التصرف ، مع العلم بأن أبا القاسم بن عبيد الله المهدي كان مع أبيه في ذلك السجن . فكان أولى أن ينصب مكان أبيه . وخاصة أنه تولى الخلافة بعد ذلك ، ولما اشتدت الحصومة بين أبي عبد الله الشيعي وعبيد الله المهدي الخليفة الفاطمي الأول ، لم يذكر أحد من الفاطميين ، أن من مساوئه أنه فكر في أمر كهذا ، حتى يبرر قتله في نظر الجماهير التي كانت متأثرة بشخصية أبي عبد الله الشيعي .

ومع كل هذا . . فإننا نجد ابن الأثير في كتابه « الكامل » يقول : « وهذه الأقوال فيها ما فيها . . فيأليت شعري . ما الذي حمل

أبا عبد الله الشيعي وغيره ممن قام في إظهار هذه الدعوة ، حتى يخرجوا هذا الأمر من أنفسهم ويسلموه إلى ولد يهودي !! .
وهل يسامح نفسه بهذا الأمر من يعتقد ديناً يثاب عليه ؟ .
رابعاً : أما محاضر الخلفاء العباسيين فنحن لا نحتاج إلى مجهود كبير في معرفة الطريقة التي كانت توقع بها ، ومقدار سطوة الخلفاء وبطشهم بمن يخرج على رغباتهم .

وأخيراً . . يقول الدكتور شعوط — بعد مسيرة طويلة : —
« فهذا التشكيك في نسب الفاطميين نوع من العداوة الخبيثة للإسلام والمسلمين ، حتى يغضوا من قيمة الفاطميين الذين تركوا في مصر كنوزاً ثمينة من العلم والفن لا تزال باقية إلى الآن ، والذين قال فيهم بروكلمان : (وعلى الرغم من ضعف الفاطميين الذي أطلع رأسه في سرعة ، فقد استطاعوا أن يضمّنوا لمصر عهداً متطاولة من الرخاء العظيم) .

ويعقب الدكتور شعوط على عبارة بروكلمان بقوله :
« ولعل بروكلمان من خيرة المؤرخين الذين حاولوا أن يعطوا للفاطميين حقهم في التاريخ (١) » .

رأينا في نسب الفاطميين :

من الغريب أن يكون أول من تنكر للنسب الفاطمي بعض

(١) المرجع السابق ٣٥٩ .

كبار الشيعة . وعلى رأس هؤلاء الشريف العلوي أخو محسن محمد بن علي بن الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن جعفر الصادق . . . الذي ألعنا إلى رأيه في النصوص السابقة ، ويصور لنا الشريف أخو محسن ذلك الاضطراب السيء في نسب الفاطميين ، فيقول : « وقد كان قرمط يكتب من مسلمية ، فلما توفي من كان في وقته وجلس ابنه من بعده كتب إلى حمدان قرمط ، فلما رد عليه الكتاب أنكر ما فيه لألفاظ كان يعهدها عليه فاستراب وأرسل أحد دعائه المسمى بعبدان فلما وصل إلى هناك عرف بموت ذلك الطاغية الذي كانوا يكتبونه ووجد ابنه فسأله عن الحجة ومن الإمام بعده ؟ فقال الابن : ومن هو الإمام ؟ قال عبдан : الإمام محمد بن إسماعيل بن جعفر صاحب الزمان الذي كان أبوك يدعو إليه ، وكان حجته ، فأنكر ذلك كله ، وقال : محمد بن إسماعيل لا أصل له . ولم يكن الإمام غير أبي وأنا أقوم مقامه ، فرجع عبдан إلى قرمط فعرفه الخبر ، وأمره قرمط أن يجمع الدعاة ويعرفهم صورة الأمر ، وما تبين له منه ، ويقطع الدعوة لمن بسلمية ففعل عبдан ذلك ، ولما قطعوا الدعوة من بلادهم لم يمكنهم أن يقطعوها من غير ديارهم لأنها كانت قد امتدت في سائر الأقطار وكثر شرها وتزايد خبيثها ، وذلك كله في سنة ست وثمانين ومائتين » .

ويقول الشريف أخو محسن — أيضاً — : وكان مبتدأ هذه

الدعوة الخبيثة لمحمد بن إسماعيل بن جعفر بزعمهم ، ولم تزل

هذه الدعوة إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر مرتبة على ما كانت رتبت إلى أن هرب سعيد المسمي بعبيد الله الملقب بالمهدي من سلمية . . فصار هو الإمام (١) ! ! .

* * *

. وإذا كان أبو عبيد الله الشيعي الداعي هو الذي تحمل عبء إقامة دولة للفاطميين في المغرب ، ولم يكن لأبي عبيد الله المهدي في إقامتها أى فضل ، لدرجة أنه عندما كان في طريقه إلى المغرب . — بدعوة الشيعي — وجد أن المعارك لازالت متصلة بين الشيعي والأغلبية في القيروان ، فسار غرباً إلى الصحراء تاركاً الشيعي في قتاله دون أن يقدم له أى عون . . . حتى ورث ملكاً جاهزاً قدم له على طبق من ذهب .

إذا كان عبيد الله الشيعي قد فعل كل ذلك ، ففي المقابل كان أول عمل قام به أبو عبيد الله المهدي هو اغتيال الشيعي وأخيه العباس بعد عام واحد من نشأة الخلافة الفاطمية (٢) وكانت الحجة التي أبرزت لتبرير هذا العمل الإجرامى أن الشيعي كان يريد الاستئثار بالسلطة . . ولكن أحداً من المؤرخين لم يسأل : أى سلطة تلك ؟ إن الجهد كله كان على يد الشيعي وليس للمهدي

(١) انظر دولة الإسماعيلية في إيران د - محمد السعيد جمال الدين (نقله عنه)

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ١-٤٤٤ والكامل ٦-١٣٤ .

فيه أى فضل . . أبرزه هذا دون أن يعطى للشيعي ولو صلاحية الحاجب أو الوزير الأول ؟ وهل يليق هذا بأهل البيت ؟ .

والتفسير الحقيقي الذي نراه مطابقاً للعقل أن أبا عبيد الله الشيعي وأخاه العباس — المقتولين معا — قد شكوا في حقيقة المهدي ، وأخذوا يدعوان الناس لعصيانهم ويقولان لهم : « إن المهدي يتحتم بالحجة ويأتى بالآيات الباهرة » ويقولان كذلك : « إن هذا ليس بالذي كنا نعتقد طاعته وندعو إليه ، لأن المهدي يتحتم بالحجة ويأتى بالآيات الباهرة » . . .

ويروى المقريري — الذي بسط هذا الأمر — أن شيخاً من قبيلة كتامة التي نصرت الدعوة الفاطمية دخل على المهدي وقال له :

— إن كنت المهدي فأظهر لنا آية فقد شككنا فيك (١) ؟ .

— فكان جزاء قوله هذا من المهدي الفاطمي (١١) :

(القتل) ! !

* * *

ويضاف إلى مواقف التشيع المخالفة للفاطميين ، موقف الأدارسة ، الذين سبقوا الفاطميين في المغرب ، وكان من المعقول أن يتحدوا معاً ، وأن تكون بينهم علاقات ودية على الأقل .

(١) اتماظ الخفا ص ٩٥ .

لكن الذى حدث هو العكس ، فقد تعرضت دولة الأدارسة فى المغرب الأقصى (١٧٢ - ٢٦٣ هـ) لعداء الفاطميين وهجومهم ، فاضطر الأدارسة إلى الانسحاب شمالاً إلى منطقة جبال الريف حيث تحصنوا هناك فى بعض القلاع مثل البصرة وأصيلا وحجر النسر (١) . بل إنهم اضطروا للتعاون مع بنى أمية فى الأندلس أيام عبد الرحمن الناصر ضد هذه الغارة الفاطمية التى لا تأبه بوحدة فى مذهب ، ولا بوشيجة نسب ولا عرق ! ! .

* * *

وإذا كنا لا نعطي أهمية كبرى للوثيقة التى تفصح نسب الفاطميين ، ونعتقد أن الضغوط السياسية يمكن أن تكون قد أملتها ، لكننا مع ذلك نلاحظ أن الموقعين عليها من العلماء الثقات الذين يصعب أن يرغموا على شيء من ذلك . .

كما نلاحظ أن العلويين الشرفاء كانوا من بين الموقعين عليها . وإذا كانوا قد اضطروا لتوقيعها ، أفلم تكن هناك فرصة — بعد ذلك — أتاحت لهم ليعلنوا هذا الإكراه ، ويتخلصوا من تبعته ، ويتبرءوا منه ، ويعودوا للاعتراف بصحة النسب الفاطمي إن شيئاً من ذلك لم يحدث . فإذا أضفنا إلى هذا ضعف الخلفاء العباسيين فى فترة الفتح الفاطمي لمصر ، وإمكانية الخروج عليهم —

(١) د - أحمد مختار العبادي : فى تاريخ المغرب والأندلس ص ١٩٠ .

كان ذلك أدعى إلى الثقة فى هذه الوثيقة . . على أن أسلوب الوثيقة يدل دلالة كبيرة على اقتناع كاتبها بها . . . تقول الوثيقة :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

هذا ما شهد به الشهود أن معد بن إسماعيل المستولى على مصر هو معد بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد وأنهم منتسبون إلى ديصان بن سعيد الذى انتسب إليه الديهانية وأن سعيداً المذكور صار إلى المغرب وتسمى بعبد الله وتلقب بالمهدى ، وأن هذا القائم بمصر هو منصور الملقب بالحاكم (حكم الله عليه بالبوار والدمار) ابن نزار بن معد بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد ، وأن من تقدمه من سلفه (الأرجاس الأنجاس عليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين) أدعياء خوارج لانسب لهم فى ولد على بن أبى طالب ولا يتعلقون منه بسبب ، وأن ما ادعوه من الانتساب إله باطل وزور . ولم يتوقف أحد من أهل بيوتات الطالبين من إطلاق القول فى هؤلاء أنهم خوارج أدعياء وأن هذا الانكسار لباطلهم كان شائعاً بالحرمين وفى أول أمرهم بالمغرب ، منتشرأ انتشاراً عظيماً وأن هذا القائم بمصر هو وسلفه (كفار وفساق وزنادقة ملحدون) معطلون وللإسلام جاحلون ولمذهب الثنوية والجوسية معتقلون . عطلوا الخلود وأبا حوا الفروج وأحلوا الحمر وسفكوا الدماء وسبوا الأنبياء وادعوا الربوبية . وكتب فى ربيع الآخر سنة اثنين وأربعمئة وشهد بذلك من العلويين الشرفاء المرتضى والرضى الموسوياد

وجماعة من كبار العلوية وشهد من الفقهاء المعبرين الشيخ أبو حامد الأسفرايني وأبو الحسن القلورى وقاضى القضاة أبو محمد بن الأكفانى وأبو عبد الله البيضاوى ، وخلق ، وقد قرىء هذا المحضر على المنابر ببغداد وغيرها من البلاد (١) . ! !

* * *

على أن لعلاقة القرامطة بالفاطميين دلالة في الموضوع . فمن المعروف أن أكثر القرامطة وكبارهم بخاصة قد رفضوا الاعتراف بأبي عبيد الله المهدي وبصححة نسبه ، ودخلوا معه في حرب كلامية ، كان من الممكن أن تتطور إلى حرب حقيقية لولا انشغال المهدي بمشكلاته أمام الثائرين أتباع الشيعة المقتول في المغرب . . . ولا ينكر أحد أن القرامطة من غلاة الشيعة ، وأن لرأيهم وزناً في هذا المجال . وقد اضطر أبو عبيد الله المهدي — مداراة لهم — إلى أن يخطب ودهم ، حيث لم يكونوا يعتقدون في أحقيته بالإمامة ، وفي أنه بديل لمحمد بن إسماعيل المهدي والقائم في زعمهم ، وتمكن عبيد الله في النهاية من تعيين رئيس قرمطي موال له في سنة ٣٠٥ هـ ، وظل هذا الزعيم على إخلاصه لعبيد الله ثم القائم حتى توفي سنة ٣٢٢ هـ (٢) . وقد نجح

(١) راجع حوادث سنة ٤٠٢ في المطولات : الكامل ، والبداية والنهاية ، وفي شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ٣-١٦٢ ورد بالفاظ مختلفة قليلا .

(٢) انظر د - محمد السعيد جمال الدين : دولة الإسماعيلية في إيران ص ٦٢

مطابع سجل العرب سنة ١٩٧٥ .

الفاطيون بعد ذلك في شراء كثير من زعماء القرامطة بهداياهم وأموالهم . بل إن قيام الدولة الفاطمية كان سبباً في إحداث انشقاق في الحركة القرمطية أدى إلى انصراف كثير من أتباعها عنها وعن المذهب الإسماعيلي كله لانهايار هذه العقيدة الأساسية أمام عينيه (١) — في ظل تجربة الفاطميين — ! ! .

وفي المغرب الإسلامي حيث سيطرت الدولة الفاطمية لم يقتنع أحد من أهل السنة ، وجمهور زناة وصنهاجة بدعوى الفاطميين ، وفضلاً عن الثورات التي قامت بعد مقتل عبيد الله الشيعي ، فقد بقيت حركات العصيان مستمرة . ولم يكن الأمر أمر العباسيين ولا أمر القرامطة ولا الشيعة العاديين في الخلاف على أبي عبيد الله المهدي فقط ، بل إن واحداً من أكبر الدعاة الشيعة في اليمن وهو علي بن الفضل لم يكن مخلصاً في ولائه للفاطميين ، وكان — فيما يبدو — يعتقد بأن أبا عبيد الله المهدي ركب الدعوة الفاطمية سلماً لتحقيق مآرب دنيوية . فعندما خرج علي بن الفضل على « المهدي » وكلمه ابن حوشب (الداعي باليمن) في أمر الاتحاد على أبي عبيد الله المهدي ، رفض ابن الفضل ذلك ، وقال له : « إنما هذه الدنيا شاة ومن ظفر بها اقترسها » ! ! ولم يكتف ابن الفضل بالخروج على عبيد الله المهدي بل ثار أيضاً على الداعي ابن حوشب طمعاً في استخلاص اليمن لنفسه (٢) .

(١) المكان السابق .

(٢) د - محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ١٣٩٦ هـ ص ٧٣ .

ولما توفي ابن حوشب أمير الدعوة في اليمن ، وتقلدها بعده أبو الحسن ، مال إلى الحق ، وانقلب على الفاطميين ، واعتنق مذهب السنة ، وجمع الناس وأشهدهم أنه رجع عما كان عليه أبوه فأحبه الناس ودانوا له بالطاعة ، وتبع أبو الحسن أنصار الدعوة الإسماعيلية تتبعاً مقروناً بالشدة والعسف (١) .

وهذا هو سلوك أقطاب الدعوة الفاطمية إزاء خلفائها... ألا نرى أنه سلوك مريب ؟ ! ! .

ومعروف أمر أبي الحسن الذي ذكرناه ، والذي تصدى لتكذيب صحة النسب الفاطمي ، وهو من كبار الشيعة ، وجدير بالذكر أنه لما توفي أبو الحسن رجع أحد كبار الإسماعيلية عن شيعته ويدعى إبراهيم بن عبد الحميد الشيعي وأقام الخطبة لبني العباس ، ولم يزل يتبع الإسماعيلية ويقتلهم حتى قضى على الكثيرين منهم في اليمن . ومما يبعث على الشك — كذلك — ذلك الاختلاف الكبير في نسب الفاطميين . . قال صاحب تاريخ القيروان :

هو عبيد الله بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم .

وقال غيره :

(١) السابق ٧٨ .

هو عبيد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر المذكور .
وقيل : هو علي بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

وقيل : هو عبيد الله بن التقي بن الوفي بن الرضي وهؤلاء الثلاثة يقال لهم المستورون في ذات الله . والرضي المذكور : ابن محمد بن إسماعيل ابن جعفر المذكور واسم التقي : الحسين . واسم الوفي : أحمد . واسم الرضي : عبد الله . وإنما استتروا خوفاً على أنفسهم لأنهم كانوا مطلوبين من جهة الخلفاء من بني العباس وإنما تسمى المهدي عبيد الله استتاراً . هذا عند من يصحح نسبه ففيه اختلاف كثير (١) .

* * *

وإذا ذهبنا نتبع سلوك هؤلاء الناس لم نجد فيه ما يؤكد لنا اتهامهم لأهل البيت .

فعلى امتداد ستة عقود (٢٩٨ — ٣٦١ هـ) حكموها في المغرب ، ولأكثر من قرنين حكموها في مصر — فقد نشروا من الخرافات والبدع ما لا أصل له لا في كتاب ولا سنة ، ولجثوا — هم ودعاتهم — إلى ضروب من الحيل والدجل لإقناع الناس بهم وبدعواهم . . وهي ضروب لا يمكن أن تصدر عن ناس ينتسبون إلى أهل البيت . وإنما هم —

(١) انظر ابن خلكان : وفیات الأعيان ٣-٣٠١ الطبعة الأولى .

كما ذكر على بن الفضل — أكبر دعاة الشيعة في اليمن — مثله تماماً .. مفترسون لشاة الدنيا . طلبوها من غير طريق ... وإن من يتصفح حياة داعيهم الأكبر ومؤسس دولتهم أبو عبيد الله الشيعي ، ويجد عشرات الحيل التي خدع بها كتامة وما تظاهر به من علم الغيب ليستبعد استبعاداً كاملاً أن يكون هؤلاء من أهل البيت^(١).

وليس شرطاً أن يكونوا يهوداً أو نصارى ... كما يرى بعض المؤرخين . . . فليس الأمر هذا ولاذاك ، وإنما أغلب الظن أنهم مشعوذون ركبوا دعوى آل البيت ... للوصول إلى الحكم ، وهذه الدعوى كانت طريقاً شرعياً من طرق الوصول إلى الحكم في تلك العصور حتى ولو كان ممثلوها غير مؤهلين — لا بأفكارهم ولا بسلوكهم — لقيادة الأمة .

وكيف يمكن أن يكون من أهل البيت هؤلاء الذين وضعوا أيديهم في أيدي القرامطة الذين اعتدوا على الحرم واقتلوا الحجر الأسود يقول ابن كثير الدمشقي المؤرخ :

« إنما حمل القرامطة على الاعتداء على الحرم واقتلاع الحجر الأسود أنهم كفار زنادقة ، وقد كانوا مماثلين للفاطميين الذين نبغوا بإفريقية ويلقب أميرهم بالمهدي ، وهو أبو محمد عبيد الله ابن ميمون القداح ، وقد كان صباغاً بسلمية ، وكان يهودياً فادعى أنه أسلم ، ثم سافر من سلمية فدخل بلاد إفريقية فادعى أنه شريف

فاطمي فصدقة على ذلك كثير من البربر وغيرهم من الجهلة وصارت له دولة ، وكان هؤلاء القرامطة يرأسونه ويدعون إليه (١) » ١١ .

وقد كان للفاطميين من العادات والتقاليد التي يلتزم بها الحكام مع الرعية ما يوحى بأنهم أكثر من بشر . وكانوا يلزمون المتصلين بهم بأسلوب في المعاملة الخاضعة للدلالة لا تليق بعلاقة الإنسان المسلم بأخيه المسلم حاكماً كان أو محكوماً .

وقد كانت لهم جرأة كبيرة على التنكيل بمخالفهم بأفزع الوسائل ، كما أنهم كانوا من أجراً الناس — وبأقبح الأساليب — على سب مصابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فضلاً عن قدرتهم على انتحال البدع التي لأصلها بالإسلام . وإلزام الناس بها وكأنها من شرع الله .

ومما روى أن أحد فقهاء المالكية في المغرب ويدعى (جبله) ترك رباطه بقصر الطوب وأقام في مدينة القيروان ، فقيل له : أصلحك الله .. كنت بقصر الطوب تحرس المسلمين وتربط فتركت الرباط والحرس ورجعت إلى هاهنا ؟ ! — فقال :

(١) البداية والنهاية لابن كثير ١١-١٦١ حوادث سنة ٨٣١٧

(١) د . محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ١٣٩٦ هـ ص ٧٣ . طبع مصر .

« كنا نحرس عدواً بيننا وبينه البحر ، فتركناه وأقبلنا نحرس الذى قد حل بساحتنا لأنه أشد علينا من الروم (١) » !! —

— وكيف يطمئن المسلمون إلى حكام يزعمون أنهم خلفاء مسلمون ، وأنهم من نسل على بن أبى طالب — رضى الله عنه — ومع ذلك يحتضنون ، كما فعل المعز لدين الله — شاعراً زنديقاً هو (محمد بن هانىء الأندلسى) الذى يقول لخليفهم متحدياً مشاعر المسلمين وضارباً بها عرض الحائط :

ما شئت لا ماشاءت الأقدار

فاحكم فأنت الواحد القهار

— ولهذا ظل المسلمون بالمغرب يرون أن المهدي من أعقاب عبد الله بن سالم البصرى ، ومن دعاة طائفته ، بينما رأى أهل العراق أنه من أعقاب عبد الله بن ميمون القداح ، وكأن الأمر يشبه الإجماع على تكذيب نسبه فى إسماعيل بن جعفر (٢) .

ومن الحوادث الطريفة والغريبة — ما أورده ابن خلكان فى ترجمته للمعز الفاطمى — أن الخليفة أمر أولاده ورجالاً دولته بالترجل على يدى جوهر الصقلى عند ذهابهم لوداعه حين خروجه على رأس الجيوش الفاطمية لفتح مصر . . .

(١) رياض النفوس (الجزء المخطوط) نقلاً عن د . أحمد مختار العبادى :

فى تاريخ المغرب والأندلس ص ١٩٨ نشر الإسكندرية .

(٢) انظر د . سعيد جمال الدين : مرجع سابق ١٦٤ .

وإلى هنا والخبر عادى لا يستحق التعليق ، فهذا التواضع من البيت الفاطمى لرجل غير فاطمى — مع شذوذه — هو أمر معقول فى هذه الظروف لرجل فى طريقه ليفتح لهم ملكاً عريضاً . . . !! .

أما بقية الخبر فيقول : إن المعز أمر صاحب برقة بالترجل لجوهر عند لقائه وتقبيل يده ، وقد كبر على الوالى ذلك ، وبذل مائة ألف دينار على أن يعنى من ذلك ، ولكنه لم يظفر بشيء (١) !!

ونحن — والله — نعجب من هذا الإصرار على إذلال الناس ، وجعلهم يقبلون يد شخص ما ، على الرغم من امتناعهم وبذلهم مائة ألف دينار ؟ وما فائدة هذا السلوك الفاطمى الغريب ؟ وما علاقته بالإسلام ؟ ! وهل هذا من سنة محمد صلى الله عليه وسلم ؟ ! .

ومن الغريب فى أمر الفاطميين : إثارةهم لليهود والنصارى فى أخطر منصب لديهم وهو منصب الوزارة ، بحيث ارتبط هذا المنصب الخطير بهم .. بل إن (داعى الدعاة) لهم فى بعض العصور كان من النصارى ، وذلك فضلاً عن رجال الضرائب والكتابة والدواوين .

ومن تولى الوزارة من النصارى : زرعة بن نسطوروس ، وأخوه صاعد بن عيسى بن نسطوروس ، وأبو سعد منصور فى خلافة المستنصر ، ومن تولاها من اليهود : يعقوب بن كلس فى

(١) وفيات الأعيان ترجمة المعز لدين الله الفاطمى .

خلافة العزيز ، وأبو منصور صدقة بن يوسف الفلاحى ، وابن أبى سعد إبراهيم بن سهل التستري (١) ..

* * *

وقد عرفت مصر فى العهد الفاطمى من الشدة والضيق ما لم تعرفه فى عصورها كلها ، وإن ما يعرف بالشدة المستنصرية وحده ، لكفيل بإبراز هذه الحقيقة .. وإن حوليات هذه الفترة التى حكم فيها المستنصر بالله الفاطمى (٤٢٧ - ٤٨٧ هـ) لحافلة بأبشع صور الضيق التى أطلق عليها (الشدة العظمى) والتى أكل فيها الناس بعضهم بعضاً ، وأكلوا أولادهم ، وأكلوا الحمير ، والكلاب ، وبيع الرغيف بمائة دينار . . .

، وإن ما أنفقوه على المظاهر والأحفال والمزارات والقصور - من مال الأمة - ليس دليلاً على الرخاء بل هو دليل على السفه والاستغلال البشع والنظر إلى أموال الأمة على أنها أموال لهم . ولمن يقدسهم ويتبرك بهم ويؤمن (بحقهم الإلهى) فى التصرف فى الأمة ، تصرفاً أقرب ما يكون إلى (البابوية) فى العصور الوسطى !! .

(١) د. جمال الدين الشيال : دراسات فى التاريخ الإسلامى نشر دار الثقافة

بيروت ص ٥٢ .

(٢) وكما يسير وراءه ويشيد به الدكتور إبراهيم شعوط ! !

وقد نلخص لنا ابن عذارى المراكشى - رأى الحاسم - فى نسب الفاطميين (١) ، فقال عن عبيد الله بن المهدي : « وقد اختلف فى نسبه : فادعى هو أنه عبيد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب » . وقال سائر الناس إنه دعى ، وإن انتسابه للطالبيين دعوة باطلة ، وذكروا عن أبى القاسم بن طباطبا العلوى أنه قال : « والله الذى لا إله إلا هو ! ما عبيد الله الشيعى منا ، ولا بيننا وبينه نسب » . وقال مقاتل : هو عبيد الله بن محمد بن عبد الرحمن البصرى » . وقد فضح القاضى أبو بكر بن الطيب الباقلانى نسبه فى « كتاب كشف الأسرار وهتك الأستار » وذكر أنهم قرامطة « وأن أبا عبد الله الشيعى أحدث لهم هذا المذهب ، ونسبهم هذا النسب . وحكى بعض المؤرخين أن جعفر ابن على كانت له جارية ، فغشيها رجل من القرامطة ، وقيل من اليهود ، دفعت له مالا ، فكان يهواها وتهواه ، وقتلت جعفراً مولاهم فولدت جد عبيد الله هذا . فمن خفيت عليه هذه القصة قال إنه علوى ، ومن علمها علم دعوته وكذبه » . ! ! .

* * *

إننا - انطلاقاً من كل هذا نتشكك ، بل ونرفض ، نسبة الفاطميين إلى آل البيت ، ونعتقد أنهم قرامطة متسلطون من أصحاب العقائد المستتررة ! ! .

(١) البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ١٥٨-١ تحقيق بروفسال

طبع دار الثقافة بيروت .

لكن كل ذلك لا يمنعنا من أن نهتم بهم كصفحة من التاريخ ،
لابد أن تدرس ، وأن تأخذ حقها من العناية وأن توضع في مكانها
الصحيح ، وتعطى حجمها الصحيح . . . !

ومن هنا كان اهتمامنا بهذا المخطوط ،

المخطوط والتحقيق : ظهر هذا المخطوط بالمكتبة الوطنية
بالجزائر ، وقد طبع طبعة عادية — غير محققة بمطبعة جول كربونل
بالجزائر سنة ١٣٤٦ هـ عن نسخة محرقة ، كان الفراغ من نسخها
يوم الجمعة أوائل ذي الحجة عام ١٢٦٥ هـ .

وقد كان ظهور المخطوط خالياً خلواً كاملاً من التعليقات ، ومن
التحليل ، ومن التعريف بالمؤلف — عملاً ناقصاً لا يحقق الفائدة العلمية
المرجوة منه . ولذا فقد اعتمدنا على النسختين المخطوطة والمطبوعة
في تحقيق المخطوط ، تحقيقاً علمياً ، مع التعريف بمؤلفه ، وتحليل
ما ورد فيه ، تحليلاً يضع الأمور في نصابها السليم .

أما المخطوط الذي بين أيدينا ، فقد حقق اعتماداً على نسختين :
إحداهما نسخت سنة ١٢٦٥ م وتوجد بالمكتبة الوطنية بالجزائر تحت
رقم ١٥٨٨ وهي تقع في أربع وتسعين ورقة .

والثانية نسخت سنة ١٨٨٦ ، وهي موجودة بالمكتبة الوطنية
بباريس تحت رقم ١٨٨٨ ، وملحقها الإضافي تحت رقم ٢٤٥٦ ،
ويقع الملحق في ٣٣ ورقة .

وقد ترجم شاربينو (Charbennou) الفرنسي الجزء من
السابقين ، ونشرهما بالمجلة الآسيوية ، ويقول : (فاندرهيد) ناشر
الكتاب نشرأ غير محقق « لأنه لم يعثر على المخطوط الذي أخذ منه
واعتمده شاربينو » . . .

وقد نهجنا في تحقيقه النهج الإسلامي التاريخي فلسنا نتعبد بما ورد
في التراث ، وإنما نضعه على محك الحق والعدل ، ونقبل منه ما نقبل
ونرفض ما نرفض . . .

وتممة كلمات قليلة جداً لم نهتد فيها إلى شيء فلم نعتد عليها أو
نغيرها بل تركناها كما هي . وتممة عبارات استعمالها المؤلف فيها
أخطاء نحوية اضطربنا لتصحيحها مع التنبيه عليها . . أما أساليب
التعظيم التي لا نقرأها فقد أبقيناها كما هي ، وعلقنا — في بعض الأحيان —
عليها .

وقد بين لنا المؤلف مصادره وهي :

١ — ما التقطه من مفرقات التواليف .

٢ — ما عرفه به الثقات لديه .

والحق أن هذه المصادر — كما نرى — ليست كافية للتوثيق ،
كما أن المؤلف لم يبينها لنا على وجه التفصيل . ومن هنا كانت لتحليلتنا

مبرراتها المشروعة، في تلك الحدود التي التزمنا بها ، وهي أن نقدم
النص بأمانة . . .

والله من وراء القصد

المحققان

د. عبد الحلیم عویس — د. التهامی نقره

غرة رجب سنة ١٤٠١ هـ

المخطوط

الحمد لله

قال الشيخ الفقيه الأعلّم الأعرّف الأوحّد العالم القاضی
أبو عبد الله محمد بن علی بن حماد .

الحمد لله الذي لا يزال ملكه ، ولا ينتقل ملكه . وصلى الله على سيدنا محمد الذي نسخت ملته الملل ، وفسخت دولة ملته الدول . . . فهذه جملة من أخبار بني عبيد الله قيدها في هذا التأليف ، فبعضها التقطته من مفرقات التواليف ، وبعضها عرفني به من وثقت منه بالتعريف . ودعاني إلى هذا التأليف ، ما دعا المؤلفين المؤرخين إلى أمثاله ، وما من شيء إلا وقد أفرغ في قلبه ونسج على منواله ، والله الحمد من قبل ومن بعد ، ومنه يسأل العون والقصد .

عبيد الله

اختلف الناس في نسبه إلى الحسين بن علي عليهما السلام : فمن مسلمين ما ادعاه ومقررين بما حكاه (١) ، ومن دافعين وما نعين ما انتحله (٢) ، ولا يزالون مختلفين إلا من رحم الله . فالذي ادعاه هو أنه عبيد الله بن محمد بن الحسين بن محمد بن إسماعيل بن جعفر ابن محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم والذي ادعاه الناس لا برهان عليه فلا حاجة لي إليه (٣) .

ولد عبيد الله بسلمية (٤) من بلاد الشام (٥) وقيل ببغداد

-
- (١) منهم ابن الأثير في الكامل ج ٨ ص ٨ ، ٩ طبع ١٢٩٠ هـ وابن خلدون في المقدمة ص ١٢١ ط ١٩٠٠ م .
 (٢) منهم ابن خلكان : وفیات الأعيان ج ١ ص ٦٠٩ ط ١٩٤٩ والباقلاني : أنظر أبا الفداء ج ٢ ص ١٥١ .
 (٣) هذا تأييد من المؤلف لإثبات نسب عبيد الله المهدى إلى علي بن أبي طالب وهو الأمر الذي لا يقره البحث التاريخي الحديث . بل إنه اعتبر من أوهام ابن خلدون الكبرى . (وانظر ما كتبناه في المقدمة حول هذا الموضوع) .
 (٤) سلمية : بلدة في ناحية البرية من أعمال حماه بالشام تقع شمال شرق حمص على مسافة ٥٥ كم وقد اتخذها أئمة الاسماعيلية مركزاً لنشر دعوتهم إلى كافة الأقطار الإسلامية . انظر معجم البلدان - ج ٣ ص ٢٤٠ ط ١٩٠٠ وانظر :
 Fragments relatifs a la doctrine de ismaélis (paris, 1844),
 pp. 188-9.

(٥) هو ما اعتمده أكثر المؤرخين .

سنة ٢٦٠ (١) . روصل إلى مصر في زى التجار وهو يطلب الأمور الكبار ، سنة ٢٨٩ . والطلب عليه من بنى العباس حثيث والكتب تنفذ إلى سائر الأمصار ، وعامة الأقطار ، باسمه وصفته ، وزيه وهيئته ، وبأن يقبض عليه متى عرف ، وأن يثقف (٢) متى ثقف ، فلم يزل بكل بلد تذكى عليه العيون ، وتظن بأشياءه الظنون ، ويخلص من أيدي الحكام ، وولاة الأحكام ، خلاص الأمن من نسج المرام إلى أن وصل إلى سجلماسة (٣) إما بعلم سبق ، وإما بشيء اتفق .

فظهر بها في يوم الأحد السابع من ذى الحجة سنة ٢٩٦ . فأخذ هو وابنه أبو القاسم واعتقل ، وقيد كلاهما بالحديد وأثقل . وفي خلال هذا أقام أبو عبدالله هو والحسين بن أحمد بن محمد ويعرف بالمحتسب (٤) يقال إنه كان محتسباً بسوق الغزل بالبصرة ويقال إن

(١) وقيل بالكوفة انظر وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٧٢ ط ١٩٤٩ .

(٢) يثقف متى ثقف : أى يقوم حيث وجد . وفي بعض النسخ جاءت « يثقف حيث ثقف » .

(٣) سجلماسة : مدينة في جنوب المغرب الأقصى يجرى فيها نهران أصلهما واحد ، فإذا قربا من المدينة تشعبا إلى نهرين يسلكانها شرقا وغربا وكان بناؤها سنة ١٤٠ هـ وفي سنة ١٦٠ اتخذها بنو مدرار حاضرة للملكهم « انظر البكرى ص ١٤٧ - ١٤٨ » وبينها وبين فاس عشرة أيام وهي في متقطع جبل درن (انظر معجم البلدان لياقوت الحموى ج ٣ ص ١٩٢ دار صادر بيروت) وانظرها في صفحة ٤٠ من هذا البحث .

(٤) قال بذلك ابن خلدون ج ٤ ص ٣٢ ، أما المقرئى فقال : إن أبا عبدالله نفسه كان محتسباً في أحد أعمال بغداد لا البصرة . خططج : ٢ - ص ١٠ =

المعروف بالمحتسب هو أخوه أبو العباس ، ويعرف أبو العباس بالمخطوم أيضاً ، ويعرف أيضاً أبو عبدالله بالمعلم (١) لأنه كان يعلم الناس مذهب الإمامية الباطنية ، وفيهم ألف الإمام أبو حامد الغزالي كتاب المستظهرى (٢) بأمر المستظهر صاحب بغداد .

فلما تم لأبي عبيدالله ما أراد ، قاد الأجناد ، والأنجاد ، واستفتح المدن وملك البلاد ، وبني بموضع يعرف بإيكجان (٣) على مقربة من قسنطينة مدينة وسماها دار الهجرة ، وسمى أتباعه وأشياعه من

هو كان أبو العباس المخطوم عجولا كثير الكلام ضعيف العقل أراد أن ينق من القيروان كل من يذهب من الفقراء فذهب أهل المدينة فلم يجب لذلك (انظر البيان المغرب ٢٥٦-١) .

(١) ويعرف أيضاً بالشيى وهو من صنماء اليمن (وفيات ج : ١ - ص : ٤٤٣ ط ١) .

(٢) المستظهرى أو فضائح الباطنية : كتاب ألفه الغزالي في عهد الخليفة العباسى المستظهر للرد على دعوة الحسن الصباح الذى ابتدع نظرية الإمام المستور والدعوة إليه ، حققه ونشر بعضه جولد تزيهر سنة ١٩١٦ ثم نشر كامل أجزاءه عبد الرحمن بدوى سنة ١٩٦٤ - والغزالي هو أبو حامد الحجة المعروف وصاحب الإحياء والمنقذ والتهافت وقد توفي سنة ٥٠٥ هـ (انظر وفيات الأعيان ٣ ص ٣٥٣ ومعجم المؤلفين ١١ ص ٢٦٦ والواقى بالوفيات ١ ص ١٧٦) .

(٣) إيكجان : أرض جبلية منيعة على مقربة من مدينة قسنطينة . كانت تسكنها قبائل من كتامة (البكرى . ص : ٦٣ - ٦٤) وقسنطينة من مدن الشرق الجزايرى على البحر المتوسط .

كتامة (١) وغيرهم المؤمنين ، وإذا ركب نادى مناديه في الجيش : يا خيل الله اركبوا ، وكتب على أفخاذ الخيل : الملك لله ، وكتب في بنوده « سيهزم الجمع ويولون الدبر (٢) » وآيات كثيرة من القرآن ، ونقش في خاتمه الذي يتختم به : « فتوكل على الله إنك على الحق المبين (٣) » وفي خاتمه الذي يتختم به على السجلات « تمت كلمة ربك صدقا وعدلا — لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم (٤) » . ثم وطىء إفريقية (٥) وملكها عنوة ، وكان زيادة الله آخر ملوك بني الأغلب من عمال بني العباس فيها ، وأمرائهم عليها ، فلما فل الشيعة على ملك بني الأغلب جموعه ، وملك عليه ملكه جميعه ، شمر أذباله ، وضم أثقاله ، واتخذ الليل جملا ، وسار من رقادة (٦)

(١) كتامة : اسم قبيلة كبرى بالمغرب ، ولمعرفة أصل هذه القبيلة انظر : « كتاب الأنساب للسماعى ص ٤٤٤ و ٥٤٥ » ، وانظر ابن خلدون الجزء السادس من العبر ، وانظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم قسم أنساب البربر في خاتمة الكتاب بتحقيق عبد السلام هارون .
(٢) سورة القمر (٤٥) وفي الأصل (الأدبار) وهي خطأ .
(٣) سورة النمل (٤٩) .
(٤) سورة الأنعام (١١٥) وفي الأصل (وتحت كلمات) .
(٥) المراد بإفريقية تونس وحدها .

(٦) رقادة : بلدة تقع على بعد ٨ كم جنوب القيروان أسماها إبراهيم بن أحمد ابن الأغلب سنة ٢٦٣ وبني بها قصورا عجيبة وجامعا وأسواقا وحمامات وفنادق ، فلم تزل بعد ذلك دار ملك بني الأغلب إلى أن هرب عنها زيادة الله من أبي عبد الله الشيعة وسكنها عبيد الله المهدي إلى أن انتقل إلى المهدي سنة ٢٠٨ هـ وكان احتلاله =

قبيلة متحملا ، وكانت رقادة دار ملك بني الأغلب وتوجه إلى الشرق متخلصا بجريعة الذقن (١) في سنة ٢٩٦ هـ .

وأقبل الشيعة إلى رقادة في سبعة عساكر (٢) فيها ثلاثمائة ألف بين فارس وراجل ، فدخل رقادة وبين يديه رجل يقرأ « هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر (٣) » الآية و « كم تركوا من جنات وعيون » الآية (٤) .

فزل بالقصر المعروف بقصر الصحن (٥) وأمر بقتل السودان من موالى بني الأغلب فقتلوا عن آخرهم ، وكبوا على مناخرهم .

= لرقادة في شهر ربيع الأول سنة ٢٩٤ هـ واستقر بها ملكه فدحه الشعراء وغالوا فيه حتى قال بعضهم أخزاه الله :

حل برقادة المسيح حل بها آدم ونوح
حل بها الله ذو الممالي وكل شيء سواء ريح

(ياقوت - ج : ٣ - ص : ٥٥ ط ١٩٥٤) .

(١) أى بصعوبة شديدة .

(٢) المراد بالمساكر : الجيوش .

(٣) سورة الحشر آية (٣) ويلاحظ أن وضع الآية القرآنية المذكورة في هذا الموضع تحريف لها عن مكانها الصحيح .

(٤) سورة الدخان آية (٥) ويقال عن هذه الآية ما قيل في سابقها من سوء الاستخدام للقرآن في غير ما نزل له .

(٥) قصر الصحن : في مقدمة قصور رقادة و « قصر الصحن » وجه تسميته بذلك فيما يبدو - أنه احتوى على صحن في وسطه رحبة فسيحة ، وكان هذا القصر حاقلا بمخادع خاصة للحريم ومقاصر وحمامات ، وفي داخله فيما نعتقد أقام الأمير جناحا مستقلا ليكون مقرا لبيت الحكمة . (ورقات حسنى عبد الوهاب : ج ١ ص ٢٦٤) .

ووجه إلى طرابلس فأوقى منها بأخيه أبي العباس المخطوم ، وكان محبوساً بها وبأم أبي عبيد الله ، وكانت هناك مع الخوازن (١) .

ثم توجه بملء الأرض من الخيل والرجال إلى سجلماسة (٢) في سنة ٢٩٦ المذكورة ، واستخلف على إفريقية أخاه أبارك تمام بن معارك (٣) فوصل إلى سجلماسة وأحاط بها إوحازها وافتتحها ، واستنقذ عبيد الله وابنه أبا القاسم ، وقاد له فرسا عتيقاً فركبه وخرج من الموضع الذي اعتقل فيه ، وقد لبس ثياباً نفيسة فاخرة ، وتردى

(١) أي الفارقة في الحزن .

(٢) سجلماسة : بكسر أوله وثانيه وسكون اللام وبعد الألف سين مهملة : مدينة في جنوب المغرب في طرف بلاد السودان بينها وبين فاس عشرة أيام تلقاء الجنوب وهي في منقطع جبل درن وهي في وسط رمال كرمال زرود ويتصل بها في شمالها جدد من الأرض يمر بها نهر كبير يخاض قد غرسوا عليه بساتين ونخيلاً مد البصر وأكثر أقوات أهل سجلماسة التمر وغلثهم قليلة ولنسائهم يد صناع في غزل الصوف فهن يعملن منه كل حسن عجيب بديع من الأزرق تفوق القصب الذي بمصر يبلغ ثمن الأزار خمسة وثلاثين ديناراً وأكثر كارتفاع ما تكون في القصب الذي بمصر ويعملون منه غفارات يبلغ ثمنها مثل ذلك ويصبغونها بأنواع الأصباغ وبين سجلماسة ودرعه أربعة أيام وأهل هذه المدينة من أغنى الناس لأنها على طريق من يريد غانة التي هي معدن الذهب ولأهلها جرأة على دخولها انظر معجم البلدان لياقوت ٣ ص ١٩٢ ط دار صادر .

(٣) كذا في النسخة : والصواب : أبا زاكى تمار بن معارك . وكان يذهب مذهب أبي عبد الله الشيعي في الغدر بعبيد الله المهدي . (البيان المغرب . ج ٤ ص ٢٢٥ : طبعة ١٩٥٠) .

برداء سرب (١) وانتعل نعلاً عربية ، وكان ملبسه أبداً سرياً وطيبه كثيراً ، وسلم عليه بالإمامة في شهر ربيع الآخر سنة ٢٩٧ .

وتوجه إلى إفريقية فنزل رقادة ، وأقام بها إلى أن بنى المهديّة ، ونسبها بالمهديّة إلى نفسه ، وكانت تسمى حمة وجزيرة القار (٢) ، وكان له بصر بعلم النجوم فاخطتها بطالع الأسد لأنه برج ثابت ، ولذلك ثبتت ، ولأنه بيت الشمس الذي هو دليل الملوك ، ولذلك كان الملك فيها . وعاد بعد استيظانه القيروان إليها بإذن الله عز وجل وعلى رأى أهل الصناعات النجومية ، وفي وضعها برج الأسد يقول أبو عبيد الله بن حبوس القاسي (٣) . في سيدنا الخليفة الإمام الأول أمير المؤمنين رضي الله عنهم :

بطالع الأسد اختط البناء بها لكنك الأسد الدامي الأظافر (٤)

(١) لا معنى لهذا الوصف ولعله سري ولكن هكذا أوردت في النسخة المطبوعة .
(٢) المهديّة شبه جزيرة تقع في المكان الذي كان يسمى بجزيرة الخلفاء بناها المهدي وأحاطها بأسوار حصينة وجعلها عاصمة ملكه سنة ٨٣٥٨ . ويؤثر عنه أنه قال حين فرغ من بنائها : اليوم أمنت على الفاطميات . (ياقوت معجم البلدان - ابن خلدون) .

(٣) شاعر توفى بحلب سنة ٤٤٣ . انظر ترجمته في ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ . ص : ١٠ ومعجم المؤلفين ج ١٠ ص ٤٤ ط ١ .

(٤) كلام ابن حماد في هذا الشأن لا يوافق الإسلام في قليل ولا كثير فليس برج الأسد سبب ثبات المهديّة ، وقد تعرضت المهديّة لما تعرضت له سائر المدن ، وهي الآن مدينة شبه مغمورة في تونس .

وبنى بها قصره المعروف به وهو باق إلى الآن ، وبني قصراً
لأبنة أبي القاسم ، وبني دار الصناعة الموجودة فيها إلى اليوم ، وأمر
بهدم قصور بني الأغلب بجميع بلاد إفريقية وتخريبها وطمس
معالمها . ومحو آثارها ورسومها (١) ، وجعل للمهدية أبراجاً من
جهة البر ، وهي الجهة الغربية وليس البر منها إلا من هذه الجهة ،
وجعل لها بابين من حديد صرف ، وفي ذلك يقول ابن حبوس
من القصيدة المذكورة :

باب حديد وأبراج ثمانية
تسخر العقل فيه أى تسخير

ورمى عبيد الله بسهم من الباب إلى موضع المصلى وقال :
إلى هاهنا يبلغ صاحب الخمار يعنى أبا يزيد مخلد بن كيداد
الاباضى (٢) الخارج عليهم فى أيام أبى القاسم القائم بن عبيد الله
وقال أنا بنيتها لصيانة ألف رياضة فيها ولو ساعة من نهار يعنى

(١) وهذا مثلث يؤخذ على الفاطميين . و (محو) مكتوبة فى الأصل بالياء
وهو خطأ .

(٢) أبو يزيد مخلد بن كيداد اليفرنى : صاحب الخمار الخارج على الشيعة سنة
اثنين وثلاثمائة الدائن بدين الخارجية أخذ العلم بتوزر عن مشيختها ورأس فى الفتيا
وقرأ مذاهب الأباضية من الخوارج وصدق فيه ، ثم لقي عمارة الأعمى الصفرى
النكار فتلقت عنه من مذاهبهم ما انتسخ من آية السعادة بانتحاله وهو مع ذلك من
الشهرة فى هذا الجيل بحيث لا يغفل . انظر تاريخ ابن خلدون المجلد السادس - القسم
الأول - ص ٢١٠ ط دار الكتاب اللبنانى سنة ١٩٥٨ م .

ساعة وصول أبى يزيد مخلد بن كيداد إلى المصلى ، وانحياش
الناس منه فى المهدية ، وكذلك كان الأمر ، بلغ إلى المصلى ،
ثم انهزم ولم يزل منهزماً من جهة إلى جهة ، والناس كلهم له حرب
إلى أن نقض وانقرض على ما يأتى ذكره فى أيام إسماعيل المنصور .

واستقر عبيد الله بالمهدية سنة ٣٨ (١) ، وقتل أبا عبيد الله
الداعى وأخاه أبا العباس بن زنادة يوم الثلاثاء سنة ٢٩٨ بستان فى
القصر ، وأمر بهما فغسلا وكفنا وصلى عليهما ، وأقبل على أبى
عبد الله فقال : رحمك الله أبا عبد الله وجزاك الله فى الآخرة
بتقديم سعيك ، والتفت إلى أبى العباس فقال : ولا رحمك الله
يا أبا العباس فإنك صددته عن السبيل وأوردته موارد الهلاك ،
ثم قرأ « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً » الآية (٢) ،
وأمر بدفنهما فى موضعهما الذى قتل فيه من البستان ، ثم قتل
جميع من والاهما من شيوخ كتامة ، وقيل لأنهما (٣) ارتددا عليه
وقالا لكتامة إنا غلطنا فيه ، وأن الامام الذى دعونا إليه له علامات
ويأتى بآيات ويطبع بخاتمه فى الحجر كما يطبع فى الشمع .

وخلص لعبيد الله الأمر وصفا له الملك ، فملك إفريقية كلها ،

(١) خطأ فى الأصل والصحيح سنة ٢٩٨ هـ .

(٢) سورة الزخرف آية رقم ٣٦ .

(٣) أى أبا عبيد الله الداعى وأخاه .

والمغرب بأسره ، وأطرابلس وجربة وصقلية (١) ، ووجه ابنه وولى عهده أبا القاسم إلى ديار مصر. دفعتين الأولى منهما في سنة ٣٠١ فلك الأسكنترية والقيوم وجبى خراجهما وخراج بعض عمال الصعيد والثانية في سنة ٣٠٦ (٢) .

وكان المقتدر بن المعتضد بن الموفق المتوكل صاحب بغداد (٣)

(١) أطرابلس هي أطرابلس ليبيا ، وجربة هي بالفتح أو الكسر ثم السكون قرب قابس بتونس يسكنها البربر وقال الهكوى وعلى مقربة من قابس جزيرة جربة وفيها بساكن كثيرة انظر معجم البلدان ج ٢ ص ١١٨ ط دار صادر بيروت ١٩٥٥ م . وصقلية من جزائر بحر المغرب مقابلة لإفريقية وهي مثلثة الشكل خصبة كثيرة البلدان والقرى ، انظر المصدر السابق .

(٢) دأب الفاطميون على غزو مصر ، لأهميتها فأرسلوا الحملات البرية والبحرية منذ عهد الله المهدي وكان عدد حملاتهم إليها ثلاثاً عدا الحملة الأخيرة ، وكانت الأولى سنة ٣٠١ والثانية سنة ٣٠٧ والثالثة سنة ٣٢١ وقد استمرت الأولى عامين والثانية عامين والثالثة أربعة أعوام وقد فشلت هذه الحملات الثلاث ، لأن مصر كانت من القوة بحيث استطاعت أن ترد عنها غارات الفاطميين حتى جاء المعز رابع الخلفاء الفاطميين فأرسل جيشه لغزوها فنجح في ذلك لقيام الاضطرابات بمصر وانتشار الفوضى على إثر وفاة كافور ، وقد لعب النصراني يعقوب بن كلس دوراً هاماً في مساعدة الفاطميين على غزو مصر (راجع الدكتور على إبراهيم في كتابه تاريخ جوهر الصقلي) ص ٢٥ ، ٢٦ ط ٢ نشر مصر .

(٣) تولى الخلافة بعد أخيه المكتن بالله سنة ٢٩٥ وعمره إذ ذلك ثلاث عشرة سنة وأمّه أم ولد اسمها شغب - ولقب بالمقتدر بالله وكانت خزانة الدولة عامرة فأجهز عليها لحداثة وسفاهته ، وقد استوزر كثير من منهم : أبو الحسن طي بن الفرات (انظر البداية والنهاية لابن كثير حوادث سنة ٢٩٥) .

قد وجه المدافعة ومحاربته في الدفعتين مؤنسا الخادم الذي يعرف بالفحل ، ويدعى المظفر (١) ، وكانت بينه وبين حسابة بن يوسف الكتاني وهو أحد قواد كتامة حروب ووقائع كثيرة مبيدة مبيدة ، وكان جيش أبي القاسم في الدفعة الأخيرة خمسمائة ألف ، فعرضه عند رجعته فوجدته خمسة عشر ألفاً أفناهم القتل والجوع والوباء (٢) ، وخرج أبو القاسم إلى المغرب في جيش عظيم لتسع ليال مضين من صفر سنة ٣١٥ . وقد كان محمد بن خزر الزناتي (من) (٣) . زعمائهم وكبرائهم وعظماؤهم قبل ذلك أوقع بعسكر كتامة عليه أبو عروس وإسحاق بن خليفة قائدان منهم ، وعظم الخطب في المغرب ، وتفاقم الأمر مع ما تقدم قبل ذلك له من قتل مصالة بن حبوس وغيره من قوادهم أيضاً ، فلما وصل أبو القاسم إلى المغرب توغل أبو خزر في الصحاري على المهارى ، وهادن أبو القاسم المغرب وقضى منها المأرب ، وانصرف وفي انصرافه هذا مر بوادي سهر فاخترط مدينة المسيلة (٤) رسمها برمح

(١) كان مؤنس الخادم قائداً من قواد المقتدر وقد أوقع بالروم في سنة ٣٠٢ وأسر منهم مائة وخمسين بطريقاً (انظر البداية والنهاية حوادث سنة ٣١٢ وانظر سنة ٣١٧) .

(٢) نرجح أن هذا الرقم - وما قبله - مبالغ فيهما .

(٣) في الأصل وزعمائهم - والمعنى لا يستقيم إلا بإضافة حرف من .

(٤) المسيلة بفتح ثم كسر ويقال عنها الحمديّة : مدينة بالمغرب اختطها أبو القاسم محمد بن المهدي سنة ٣١٥ وهو يومئذ ولي عهد أبيه ، وأبو القاسم هذا هو الملقب بالقائم بعد المهدي من المنتسبين إلى العلويين ، والمسيلة بنواحي الزاب من =

وهو راكب على فرسه وأمر على بن حملون الجذامي المعروف بابن الاندلسية (١) أن يبنها ويحصنها ويحسنها وسماها المحمدية باسمه .

وهذا يدل على أن اسمه محمد بخلاف من يقول أن اسمه عبد الرحمن ، فبناها وجعل لها بابين ، وسمى أحدهما باب القاسمية منسوبة إلى أبي القاسم وسمى الثاني باب الأمور ، ووصلت هذه المدينة من العمارة والحضارة ، وملك على بن حملون فيها وابناه (٢) جعفر ويحيى — إلى الغاية القصوى ، والأمد الأقصى ، وأمر أن يدخر فيها الأقوات ، وأنواع المأكولات ، وكل ما تنضم إليه الضرورة ففعل ، وزاد فاحتفل ، وكان إذا ارتفعت الأسعار ، وأغبت الأمطار ، يكتب إلى أبي القاسم وهو ولي عهد أبيه وبعد إفشاء الأمر إليه يستأذنه في البيع ، ويعلمه بما في ذلك من الزيادة والنفع فيأباه وينهاه ويأمره بالاستكثار والادخار ، ويعلمه أنه سيحتاج إليه ويضطر نحوه . فلم تزل تلك الأطعمة مصنوعة مخزنة

= (أرض المغرب) أنظر معجم البلدان ج ٥ ص ١٣٠ وص ٦٤ ط دار صادر بيروت ١٩٥٥ م وهي تابعة الآن للجزائر قرب العاصمة .

(١) ذكره ابن خلدون في أواخر الكلام عن دولة بني حماد فقال : (فبعث عنه القائد على بن حمدون فوصل وبايعوه وصالح زناتة وأصهر إلى ماخوخ فأنكحه ابنته وطال أمر ملكه وكانت أيامه هدنة وأماناً) انظر تاريخ ابن خلدون ٦ القسم الثاني ص ٣٦٢ .

(٢) في الأصل وابنيه وهو خطأ نحوى ظاهر .

إلى فتنة أبي يزيد ، وخرج إسماعيل المنصور (١) إليه وأتباعه ، فكانت عوناً له ولأنجاده وإمداده عند وصوله إلى جبل كياتة (٢) ، وحصره أبو يزيد فيها . وبين المسيلة والجبل الذي حصره فيه وهو المطل على القلعة وسيأتي ذكره بعد هذا اثنا عشر ميلاً فكانت ميرتهم منها وارتفاعهم بها ولم يكن في تلك الجهات إذ ذاك مدينة غيرها .

وكان أبو القاسم يركب بالمظلة في أيام أبيه ، وباسمه كانت تنفذ الكتب والعهود ، وإليه ترفع المسائل وعليه تفد الوفود . وكان أبوه كلفاً به شديد المحبة له ، متيمناً لكل ما عسى أن يفعله ، وكذلك هو كان لأبيه باراً به ممثلاً لأمره مغتتما لمرضاته . والمظلة التي اختصوا بها من دون سائر الملوك شبه درقة في رأس

(١) أبو الطاهر إسماعيل الملقب بالمنصور بن القائم بن المهدي صاحب إفريقية ، بويح المنصور يوم وفاة أبيه القائم وكان بليفاً فصيحا وكان أبوه قد ولاه محاربة أبي يزيد الإباضي الخارج عليه وخرج من شهر رمضان سنة ٣٤١ هـ من المنصورية إلى مدينة جلولا ليتنزه بها ومعه حظيته قضيب ، وكان مفرماً بها فأمر الله سبحانه وتعالى عليهم برداً كثيراً وسلط عليهم رجلاً عظيماً فخرج منها إلى المنصورية فاشتد عليه البرد فأوهن جسده ومات يوم الجمعة آخر شوال سنة ٣٤١ ودفن بالمهدية وكان مولده بالقيروان سنة ٣٠٢ وقيل ٣٠١ وكانت مدة ملكه سبع سنين وستة أيام (انظر وفيات الأعيان ج ١ ص ٢١١) .

(٢) يوجد في جهات المسيلة (انظر تاريخ الجزائر القديم والحديث ص ٨٩ - ط ١) (وانظر المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب للبكري) (ويسمى البكري قلعة أبي الطويل) .

رمح محكمة الصنعة رائقة المنظر ، ظرف من الصناعة في الصياغة
ونظم الأحجار الغالية ما يروق مرآه ، ويدهش من رآه ،
يمسكها فارس من الفرسان يعرف بها فيقال صاحب المظلة ،
وكانت عندهم خطة يتداولها من يؤهل لها فيحاذي بها الملك من
حيث كانت الشمس يقيه حرها بظلها . وفيه يقول محمد بن
هانيء الأندلسي (١) من قصيدة يمدح بها معد المعسر الذي
يأتي ذكره :

وعلى أمير المؤمنين غمامة
نشأت تظلل تاجه تظليلاً
نهضت بمثل الدرع ضوعف نسجه
وجرت عليه عسجداً محلولاً

ولا يعلم أحد من الملوك اتخذ هذه المظلة إلا بنو عبيد
خاصة !! .

(١) الشاعر المشهور قيل إنه من ولد يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي
صفرة الأزدي ، وكان أبوه من قرية قريبة من المهدية فانتقل إلى الأندلس فولد
بها محمد المذكور بإشبيلية فتعلم بها حتى اتصل بصاحب إشبيلية وحظي عنده ، وكان
كثير الانهماك في الملاذ متهماً بمذهب الفلاسفة فسأمت المقالة فيه فخرج إلى المغرب
ولقى جوهر القائل فامتدحه ثم ارتحل إلى جعفر ويحيى ابني علي وكانا بالمسيلة فبالغا
في إكرامه ثم طلبه المعز الفاطمي فبالغ في إكرامه فمدحه بأشعار يصل بعضها إلى الكفر
ثم توجه المعز إلى مصر وتجهز بعده ابن هانيء ليلحق به لكنه قتل في برقة سكران
وكان ذلك يوم الأربعاء ٢٣ من رجب سنة ٥٣٦٢ وعمره ٣٦ سنة وقيل ٤٢ (انظر
وفيات الأعيان ج ٤ ص ٤٩ ط ١) .

ثم ملك (١) الروم بصقلية وحسب أنهم أهلوها إليه في بعض
هداياهم (٢) وكأني سمعت هذا .

وتوفي عبيد الله يوم الاثنين الرابع عشر من شهر ربيع
الأول سنة ٣٢٢ وكسف القمر في تلك الليلة كسوفاً كلياً (٣)
و « كان » عمره اثنتين وستين سنة أو ثلاثاً وستين سنة ، وكانت
وفاته من دواء سقاه إياه ابن الجزار يقال إنه حب السورنجان
لنقرس (٤) كان يشكوه ، وكان إسحاق الأسرائيلي (٥) نهاه عنه
(١) أي عبيد الله المهدي .

(٢) المعروف أن صقلية آلت إليهم بعد أن سقط الأغالب على أيديهم في تونس
فألت إليهم بالتبعية .

(٣) يخشى أن يفهم من هذا أن هناك علاقة بين وفاة عبيد الله وكسوف القمر .
وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا
يخسفان لموت أحد ولا لحياته . . . » - وجدير بالذكر أن الكسوف يكون
لشمس والخسوف للقمر لكن إذا جمع الشمس والقمر استخدم الخسوف .

(٤) النقرس مرض يصيب المفاصل يسمى بداء الملوك .

(٥) مصري طيب سكن القيروان وخدم عبيد الله الشيعي ، عاش مائة سنة ونيفاً
وله تواليات مبتكرة ككتابه في البول وكتابه في الحيات وكتابه في الغذاء والدواء وكتابه
في الحدود وفي المنطق والترياق وأبوه سليمان وكان إسحاق في خدمة الأغالبة قبل
الفاطميين ، وكان معاصروه من يهود إفريقية يحجلونه إجلالاً عظيماً حتى إنهم أسندوا
إليه رياستهم الدينية . وقد ألف لهم كثيراً من الكتب في تفسير تعاليمهم ، وسن لهم
للأيد شرعية ساروا عليها ، وكانت وفاته قبيل انتقال المعز إلى مصر ودفن بمقبرة
اليهود بمدينة المهدية (أنظر طبقات الأطباء والحكام لابن جلدجل ص ٨٧ ط المعهد
العلمي الفرنسي بالقاهرة ١٩٥٥ م وانظر ورقات في الحضارة العربية ج ١ ص ٢٣٧
ط ١٩٦٤) .

وأعلمه أنه يجد على أثره إفاقة ، ثم يشتد عليه ، وقد بهلكه فلم يقبل قوله لشدة ما يجده ، فوجد تلك الإفاقة ، ثم مات .

وكنتم أبو القاسم موته شهراً وقيل عاما كاملاً حتى نفذ جيشاً لبرقة ليشغل المشرق وجيشاً إلى تاهرت (١) ليشغل المغرب ، ثم أذاع موته وأظهر وفاته ، ووجد عليه وجداً شديداً وحزن حزناً ظاهراً ، وأمر بالبكاء عليه بالقيروان وغيرها من الأمصار ، ولم يركب دابة بالمهدية منذ مات إلى أن توفي هو حزناً وبراً وتكرمة لتربة دفن فيها .

وكان مما أحدث عبيد الله أن قطع صلاة التراويح في شهر رمضان ، وأمر بصيام يومين قبله وقت في صلاة الجمعة قبل الركوع وجهر بالبسملة في الصلاة المكتوبة وأسقط من أذان صلاة الصبح : « الصلاة خير من النوم » وزاد : « حتى على خير العمل محمد وعلى خير البشر » ونص الأذان طول مدة بني عبيد بعد التكبير والتشهدين « حتى على الصلاة وحتى على الفلاح » مرتين « حتى على خير العمل محمد وعلى خير البشر » مرتين مرتين « لا إله إلا الله » مرة ، ثم يقول :

أحيالك الله يامولانا حافظ نظام الدنيا والدين ، جامع شمل

(١) تاهرت مدينة بالوسط الجزائري كانت عاصمة لدولة بني رستم الخارجية ، وهي من المدن الكبرى بالجزائر الآن في منطقة النجود الباردة وهما مدينتان متقابلتان القديمة والجديدة (انظر معجم البلدان ٢-٧) .

الإسلام والمسلمين ، وأعز بسلطانك جانب الموحدين ، وأباد بسيفك كافة الملحدين ، وصلى عليك وعلى آبائك الطاهرين وأبنائك الأكرمين ، صلاة دائمة إلى يوم الدين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين (١) .

وفي أيام بني عبيد في سنة ١٧ بطل الحج وأخذ الحجر الأسود وذلك أن أبا طاهر سليمان بن الحسن القرمطي دخل مكة حرسها الله تعالى يوم التروية فقتل الحجاج قتيلاً ذريعاً ورمى القتلى في زمزم وأخذ الحجر الأسود من الكعبة وقلع بابها وبقي الحجر عندهم اثنتين وعشرين سنة إلا شهراً ، ثم ردوه لخمس خلون من ذي القعدة سنة ٣٩ (٢) .

وفي أيام عبيد الله قتل المقتدر ببغداد في الحرب التي كانت بينه وبين مؤنس الخادم وأظهر عبيد الله عند ما بلغه الخبر أن

(١) هذا نموذج من البدع التي ألصقها الفاطميون بالإسلام ، وليس لها سند من كتاب ولا سنة ، ولا من سلوك الصحابة والأسلاف رضي الله عنهم ، وهم الذين أمرنا بالاعتدال بهم . وما أكثر البدع التي خلفها الفاطميون في العالم الإسلامي ولا سيما في مصر والمغرب .

٢- في حج سنة ٣١٧ خرج أبو طاهر القرمطي على الناس يوم التروية فأنهب أموالهم واستباح قتالهم في رحاب مكة وفي المسجد الحرام وجوف الكعبة وقتل منهم خلقاً كثيراً ، فلما قضى القرمطي أمره وفعل ما فعل بالحجيج أمر بدفن القتلى ببئر زمزم وهدم قبة زمزم وأمر بقلع باب الكعبة ونزع كسوتها ، ثم قلع الحجر الأسود وأخذه إلى بلاده فكث عند القرامطة اثنتين وعشرين سنة حتى ردوه سنة ٣٣٩ (انظر البداية والنهاية لابن كثير حوادث سنة ٣١٧) .

دهاته قتلته بأمره ، وجلس لذلك مجلساً هنياً فيه ويشبه أن يكون ذلك صحيحاً (١) 'والله سبحانه أعلم لأن الذي قتله كان بربرياً ، ولم يكن من أهل المشرق . وذكر الصولي أن الذي قتله رجل من أهل المغرب بربرى يقال له غلبون الصنهاجى رماه بحربة وهو على فرسه ، يصلح بين الجند - فى ظهره ، فخرجت من صدره فوق ميتاً .

وكانت بالمهدية قبة مديدة بنيت بينياتها ، وسقطت عند انقراض دولة بنى عبيد .

وخلف عبيد الله سبعة ذكور وهم : محمد أبو القاسم - وأحمد - وأبو على - وأبو طالب محمد - وقيل اسمه أبو عبيد الله الحسين - وأبو الحسين عقيل الأعمى - وأبو سلمان - وثمانى بنات - وكان قضاته : أبو جعفر المروزى ، وإسحاق بن المنهال ، ومحمد بن محفوظ القمودى ، ومحمد بن عمران النفطى - تداولوا القضاء ، ثم عاد القضاء إلى إسحاق ، وحاجبه جعفر بن على وحامل مظلته مسعود الفتى ثم غرس الفتى ومتولى بيت المال أبو على أحمد بن الحسين ثم ابنه أبو الحسن .

(١) فى سنة ٣٢٠ وقع بين المقتدر ومؤنس خلاف فاستولى مؤنس الخادم على الموصل وأقام بها تسعة أشهر ثم ركب منها إلى بغداد بدعوى مطالبة الخليفة بأرزاق الجند ، ثم وقعت بينه وبين مؤنس معركة ذبح فيها الخليفة المقتدر على يد الجنود المغاربة ، وكان فعل مؤنس هذا سبباً لطمع حكام الأطراف فى الخلفاء ، وضعف أمر الخلافة جداً (انظر البداية والنهاية لابن كثير حوادث سنة ٣٢٠) .

محمد القاسم

كنيته أبو القاسم بن عبد الله ولد بسلمة (١) من بلاد الشام سنة ٣٠٨ هـ ، وبويع يوم مات أبوه عبيد الله وعمره إذ ذاك اثنتان واربعون سنة ، أوقف عليه أبو يزيد مخلد بن كيداد فى سنة ٣٣٢ وهو الذى كان أنذر به أبو عبيد الله على ما تقدم وهو من بنى جعفر من بنى جانا الذى تقول له البربر أجانا وأجانا هو بنفسه زنات الذى تنسب إليه زناتة (٢) وكان كيداد والد أبى يزيد من سكان ققيوس من بلاد قسطنطينية (٣) وكان يختلف فى التجار إلى بلاد السودان فاشترى بتادمكت أمة تسمى سبيكة فحملت منه وولدت أبا يزيد وهو أعرج وفى لسانه شامة فذهب به أبوه كيداد

(١) سلمية : بلدة فى ناحية البرية من أعمال حماة بينهما مسيرة يومين ، قيل سلمية قرب المؤتفكة فيقال إنه لما نزل بأهل المؤتفكة ما نزل من العذاب رحم الله منهم مائة نفس فنجاهم فزحوا إلى سلمية فعمروها وسكنوها فسميت سلم مائة (انظر معجم البلدان ج ٣ ص ٢٤٠ ط بيروت) وهى فى الأصل سلمية .

(٢) زناتة : قال أبوالمجد المنيل وعلى بن أحمد بن سعيد بن حزم وغيرهما : إن زناتة هم أولاد أجانا بن يحيى بن صولات بن وزناج بن خرى ، (انظر البيان المغرب لابن عذارى ج ١ ص ٧٣ وانظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم فصل أنساب البربر) .

(٣) تضم بلاد الجريد قبلة تونس وهى : نفطة وتوزر وقفصة وبلاد نفزاوة وتسمى كلها بلاد قسطنطينية مستعمرة العمران مستعمرة الحضارة مشتملة على النخز والأنهار (انظر تاريخ ابن خلدون ٦ القسم الأول ص ١٩٩) .

إلى عراف بمدينة كوكو فأراه فقال له ليكونن له شأن وليلكن ،
ثم رجع كيداد إلى تقيوس فأت ، وقيل إن أبا يزيد نشأ
بتوزر بلرب الغلامسين بقرب توزر (١) ، فلما كبر وشب
قرأ مذهب الأباضية ففقه فيه ومهر في الجدل عليه ، ثم سار إلى
مدينة توزر فكان يعلم الصبيان القرآن ويدعو من وثق إليه
وقدر عليه إلى القيام على أبي القاسم بن عبيد الله .

وينكر ما هو عليه حتى استجاب له نحو ثلاثمائة رجل واتصل
ذلك بابن فركان مقدم توزر فاستدعاه وتهدهه فأنكر ما رمى به
وتبرأ منه فخلى عنه ، وخاف أصحابه الذين أجابوه فتفرقوا عنه
وهجروا مجلسه وتركوا الحضور فيه ومعه ، فخرج من بلاد
قسطيلية كلها وسار إلى جبل أوراس (٢) وفيه قوم من هواره (٣)

(١) توزر : مدينة في أقصى إفريقية من نواحي الزاب الكبير ، وتقيوس
قرية منها .

(٢) جبل أوراس بأرض إفريقية فيه عدة بلاد وقبائل من البربر (انظر معجم
البلدان ١٠ ص ٢٧٨ ط دار صادر -) وهذا الجبل يخترق الشرق الجزائري
وقريب منه تقع مدن كبرى كباتنة وقسطينة ، وهو مهد لكثير من الثورات .

(٣) من بطون البرانس باتفاق النسابة العرب والبربر وهم ولد هوار بن أودينغ
ابن برنس قيل سميت هواره ؛ لأن المسور لما جال البلاد ووقع في المغرب قال قد
تهورنا وبتوطنهم كثيرة منهم بنو نيه وأودينغ ، ومواطنهم بنواحي طرابلس وما
يليه من برقة كما ذكره المسعودي والبكري وكانوا ظواغن وأهلين (انظر تاريخ
ابن خلدون مجلد ٦ القسم الثاني ص ٢٨٥) .

يقال لم بنو كلان (١) من أهل مذهبه فقام فيهم وقوى بهم واشتدت
شوكته واستفحل أمره ، وعمره إذ ذاك ستون سنة وبه علل
كثيرة ، وصحبه رجل يقال له أبو عمار بن عبد الله الحميدى الحجرى
وكان مقلما في الأباضية ، وكان يقول أبو يزيد لأهل القيروان
إذا دخلها : لم لا تجاهلوا بني عبيدها ها أنا رجل أعرج وصاحبي
أبو عمار أعمى وقد عنزه الله سبحانه ورفع عنه حرج القتال والجهاد
فلم نغز أنفسنا ، وكانت له امرأة تسمى تاخيريت على مذهبه ورأيه
وبنون أربعة : يزيد الذى يكنى به ويونس وأيوب وفضل ، وكان
يقدمهم على الجيوش ويخرجهم في السرايا وأيوب هزم جيشاً كان
أميره وقائده على بن حملون صاحب المسيلة ، وكان لقيه بفحص
على (وادى وجرة) ومع على بن حملون أبو الفضل بن أبي
سلاس قائداً أيضاً فاقتتلوا قتالاً شديداً وانهزم على بن حملون
(فى) (٢) الطريق جهلا به منه فأوى إلى موضع وعمر ليلاً ومعه
ابن أبي سلاس قائداً أيضاً ، فأنحل وثاق فرس من خيولهم فوثب
على فرس آخر فتضاربا وصهلا ، فوثب القوم بعد أن هجموا
وظنوا أن أيوب غشيم فركبوا الخيل في ظلام الليل وتبددوا

(١) بنو كلان : بطن من بطون هواره على مذهب الأباضية يوجدون بجبل
أوراس ناصرُوا مَخْلَدَ بن كيداد في حربه مع إسماعيل المنصور (انظر ملوك بني عبيد
وسيرهم ص ١٩ طبعة الجزائر ١٣٤٦ هـ)
(٢) فى الأصل (وانهزم على بن حملون الطريق) والمعنى يحتاج إلى زيادة (فى) .

في تلك الأوعار فسقط على بن حملون من جوب عال فانكسرت يده ورجلاه وظهره وأكثر عظامه .

وكان أبو يزيد في أول أمره يلبس خشين الصوف ويمسك العصا ويسمى شيخ المسلمين ثم انتقل عن ذلك وركب عتاق الخيل ولبس الديباج ، وكان يرى الجمع بين الأختين بملك اليمين ويستبيح نساء المسلمين فيمن خالفه (١) ، ويسفك الدماء وكان أصحابه البربر يقتلون كل من ظفروا به من الناس كائناً من كان غنياً وعبثاً خاصة من خرج من المهديّة عند حصارهم إياها فراراً من الجوع والحصار ، ويشقون بطونهم أحياناً فتشاً على المال وتوهما أنهم (٢) ابتلعوه ، ويشقون بطون الحوامل ، واستولى أبو يزيد على إفريقية كلها إلا المهديّة ، ودخل القيروان ووصل إلى مصلى العيدين في أيام المنصور ثم انهزم كما ذكر عبيد الله ،

(١) تعتبر ثورة أبي يزيد تجسيدا لحقد قبيلة زناته على الفاطميين ، وأبو يزيد نشأ في بلدة توزر ، وتعلم القرآن ، ومال إلى الخوارج ، واعتنق مذهبهم وعاش في تاهرت يعلم الصبيان القرآن وينشر مذهب الخوارج ويمادى الشيعة ، وظهر أمره سنة ٣١٦ هـ وقويت شوكته في عهد القائم ، وأخذت له البيعة سنة ٣٣١ وكان يستبيح الغنائم من الفاطميين ، ودخل القيروان سنة ٣٣٢ ودعا إلى مجاهدة الشيعة ، (انظر الدكتور محمد جمال الدين سرور - الدولة الفاطمية في مصر ص ٢٨ ط دار الفكر بمصر) ، (وانظر الدكتور عبد الله جمال الدين - الجيش في الدولة الفاطمية رسالة ماجستير بدار العلوم ص ٤٣) .

(٢) في الأصل (أنه) .

ولم يثبت له قدم ولا نصر له علم ، حتى هلك ، وذرى أية (١) سلك ، وكان قد سمى من بايعه وأقام به (العزابة) ومن بايعه وانصرف عنه عدة المسلمين ، وكان كثير الانتزاع لآي القرآن عند المناظرة والمحاورة مثل انتزاعه لما عوتب على لبس الحرير بعد الصوف وركوب الخيل بعد الحمير بقوله تعالى « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » الآية (٢) وكان كثير التمثيل بأية الشعر كقوله ، وقد شكّا إليه أهل إفريقية ما نالهم منه ومن جنده وأصحابه :

إذا أبقت الدنيا على المرء دينه

فما فاته منها فليس بضائر

وفي شهر رمضان من سنة ٣٣٤ هـ ولى أبو القاسم إسماعيل ولى عهده ، وفوض إليه أمره وأدخل جماعة من وجوه كتامة ورؤسائهم إلى نفسه ، فقال هذا مولاكم وهو ولى عهدي والخليفة من بعدي وهو صاحب هذا الفاسق وقتله يعني أبا يزيد .

وتوفي أبو يزيد يوم الأحد الثالث عشر من شوال سنة ٣٣٤ وستر أيضاً وفاته وأخفيت فكانت خلافته اثنتي عشرة سنة وسبعة أشهر وعمره خمس وخمسون سنة ، وخلف من الولد أبا الطاهر

(١) أى في أى طريق سلك .

(٢) الأنفال ٦٠ .

إسماعيل ولى عهده ، وامه أم ولد تسمى كريمة ، وكان ترشح
لولاية عهد أبيه ، حاجبه جعفر بن علي (١) ، قضاته إسحاق بن
المنهال إلى أن مات وأحمد بن يحيى وأحمد بن الوليد ولته العامة
فأقره ، صاحب بيت ماله أبو الحسن بن علي الداعى .

المنصور

هو أبو العباس إسماعيل بن أبي القاسم ولد بالمهدية سنة ٢٩٩
وقيل سنة ٣٠٢ وولى وله اثنان وثلاثون سنة ، ولم يكن فى
بنى عبيد مثله ، وكان بطلاً شجاعاً بليغاً فصيحاً ، يخرع الخطبة
لوقته ، وخطب فى عيد الأضحى بالمهدية فقال فى خطبته :
اللهم إنك قلدتنى أمر عبادك فى بلادك اللهم فأصلحنى لهم وأصلحهم
لى وارزقنى حج بيتك الحرام ، ثم ذكر مناسك الحج فانصرف
فأمر للناس بالطعام فأكلوا وانصرفوا ، ونفذت كتبه بسلامة
العيد وكماله وتمام النعمة فيه ، وتلك سنتهم لم يزالوا عليها إلى أن
انقرضوا ، وقد رأيت بعض كتبهم بذلك ، وكان فى هذا العيد
قد أنهض من أهل القيروان ألف شيخ وألف حدث ، فلما وصلوا
خيرهم فى التعييد معه أو الانصراف ، فعيّد البعض وانصرف
البعض وعيّد عيد الفطر وهو مجاهد لأبى يزيد بقلعة كياتة ،
وخطب فقال فى خطبته : اللهم إنك أخرجتنى من المهاد والوساد ،
وجنبتنى الرقاد ، وحالفتنى السهاد ، وسلكت بى مفاوز البساد ،
اللهم احكم لى على محمد بن كيداد ، « فرعون ذى الأوتاد » ،
الذين طغوا فى البساد ، فأكثروا فيها الفساد (١) ، اللهم أنزلهم
بالمرصاد ، اللهم إنك تعلم أنى سلالة نبىك ، وابن رسولك ،
وبضعة من لحمه ، ونقطة من دمه ، ما قلت فغراً ولا لداً ، اللهم

(١) جعفر بن علي بن أحمد بن حمدان الأندلس صاحب المسيلة وأمير الزاب
من أعمال إفريقية كان سمياً كثير العطاء ومؤثراً لأهل العلم . ولأبى القاسم محمد بن
هانيء الأندلسى فيه من المدائح ما يجاوز حسنها حد الوصف . وهو القائل فيه :

المدنسان من البرية كلها جسمى وطرف بابلى أحور
والشرقات النيرات ثلاثة الشمس والقمر المنير وجعفر

(انظر وفيات الأعيان ج ١ ص ٣١١ ط السعادة الأولى ١٩٤٨) .

(١) من سورة الفجر آيات رقم ١٠ وما بعدها .

إنك تعلم من أين أقبلت ، وإلى أين انتهيت ، وما فيك لاقيت ، اللهم إني بذلت مهجتي ونفسي في سبيلك ، مجاهداً لعدوك طالباً الثأر لنبيك ، وابتغاء مرضاتك ، حتى تعبد في الأرض حق عبادتك ، ويحكم فيها بحكمك ، إنك أهل المن والطول ، ثم انصرف إلى منازل وأمر للناس بالطعام .

وكان في أيام حروبه مع أبي يزيد وقد انهزم عنه الناس ، وبقى معه صباية فقال لهم صبرة : يا عبيد أمير المؤمنين فسمي ذلك الموضع صبرة ، وكان يعرف بصلب الجمل وهو فيما بين القبلة والغرب من القيروان .

وفي سنة ٣٣٤ بنى صبرة (١) وهي مدينة بناها بقربها سماها

(١) صبرة : بالفتح ثم السكون ثم راء : بلد قريب من مدينة القيروان وتسمى المنصورية من بناء مناد بن بلكين سميت بالمنصور بن يوسف بن زيري بن مناد وقال الحسن بن رشيق القيرواني :

بنفسي من سكان صبرة واحد هو الناس والباقون بعد فضول عزيز له نصفان : ذا في إزاره سمين وهذا في الوشاح نخيل مدار كؤوس المحسظ منه مكحل ومقطف ورد الحد منه أسيل انظر معجم البلدان ج ٣ ص ٣٩٦ - ط دار صادر بيروت ١٩٥٥ .

ويقول ابن خلدون في تاريخه : وكانت مدينة صبرة قبل الفتح في مواطنهم وتعزى إليهم وهي كانت باكورة الفتح لأول الإسلام وخربها العرب بعد استيلائهم عليها فلم يبق منها إلا الأطلال ورسوم خافية .

(انظر تاريخ ابن خلدون المجلد السادس - القسم الأول - ص ٢٣٠) .
(وانظر مادة المنصورية) (في معجم البلدان ص ٢١١ الجزء الخامس) .

باسمه المنصورية ، فاستمر عليها الأسمان إلى الآن وصبرة أشهر ، وكانت دار ملكهم وملك من بعدهم إلى أن أتى عليها الزمان ، ونال منها الحدثان ، وذهبت كما ذهب الأبدان وغمدان ، وبني سورها بالطواشي وجعل لها أربعة أبواب : باب قبلي ، وباب شرقي سماه باب زويلة (١) ، وباب جوفي سماه باب كتامة وباب غربي سماه باب الفتوح ، ومنها كان يخرج للحروب ونصب عليها أبواباً ملبسة بالحديد ، ولم يكن فيها غير ذلك إلا بعد الفراغ من أمر أبي يزيد ، ثم بنيت فيها بعد ذلك القصور الشاغحات والأبنية الرفيعة ، وغرست فيها الغرس البديعة ، وجلبت إليها المياه المنيرة ، ومن قصورها الإيوان (٢) بناه المعز لابنه الذي يأتي ذكره ومجلس الكافور وحجرة التاج ومجلس الریحان وحجرة الفضة وقصر الخلافة والخورنق وقصور بين ذلك كثيرة ، ومصانع صنيعة كبيرة .

(١) نسبة إلى زويلة المهدية وهي مدينة بإفريقية بناها المهدي عبيد الله جد الذين كانوا بمصر إلى جانب المهدية بينهما رمية سهم فقط فسكن هو وعسكره بالمهدية وأسكن العامة في زويلة وكانت دكاكينهم وأموالهم في المهدية وبزويلة مساكنهم ، فكانوا يدخلون بالنهار للمعيشة ويخرجون بالليل إلى أهاليهم فقيل للمهدي ! إن رعيته في عناء من هذا ، فقال : لكن أنا في راحة . لأن بالليل أفرق بينهم وبين أموالهم وبالنهار أفرق بينهم وبين أهاليهم فأمن غائلتهم .

(انظر معجم البلدان ج ٣ ص ١٦٠ ط دار صادر بيروت) .

(٢) الإيوان : كلمة فارسية معربة بمعنى القصر .

ولما أتى أبو يزيد (١) إلى المصلى بالمهدية نزل بها وصلى فيها ، ثم انهزم ، ولم يزل إذ ذاك في حروب أكثرها عليه لأن جل اتباعه قد خلوا به وخذلوه ، كما ذكر عبيد الله ، وعلى ما يأتي إن شاء الله . وكانت هزيمته في أيام القائم أبي القاسم كما ذكر في يوم الاثنين في ثلاث خلون من جمادى الآخرة (٢) سنة ٣٣٣ هـ ، وتوفي أبو القاسم في سنة ٣٣٤ كما تقدم ، وخرج إسماعيل المنصور بعد ذلك من المهدية إلى سوسة فلم يلقه بها أهل القيروان وسألهم عن تأخيرهم وما منعهم من لقائه بسوسة فقبل له الخوف ، فتبسم وقال : إن أمير المؤمنين اختارني لهذا الأمر وكلفني (٣) بمحاربة هذا القوم ودفع إلى سيف جدى ذا الفقار وأوى إليه وهو إلى جنبه ، وأمرني بالعفو عن الناس كافة وعن أهل القيروان إلا أصحاب الحصص (٤) .

وتوجه من سوسة إلى القيروان فاستخلف بالقيروان مداما (٥) وأمره ألا يقطع دون القاضي محمد بن أبي المنظور .

- (١) أبو يزيد : أبو يزيد مخلد بن كيداد اليفرنى - صاحب الحمار - الخارج على الشيعة سنة ٣٠٢ - سبق ذكره .
(٢) الصحيح لغويا جمادى الآخرة .
(٣) في الأصل (ولهى) ولا معنى لها .
(٤) أصحاب الحصص : هم الذين وقع تخصيصهم وتعيينهم .
(٥) مدام : هو أحد أنصار إسماعيل المنصور حيث استخلفه على القيروان عندما ذهب يعطارد أبا يزيد في المسيلة وغيرها من المدن البعيدة . انظر كتاب : ملوك بني عبيد وسيرهم - صفحة ٣٥ طبعة الجزائر سنة ١٣٤٦ .

وتوجه إلى المغرب لأربع بقين من شهر ربيع الأول سنة ٣٣٥ فنزل على ساقية ممس وأدركه هناك عسكر قدم عليه من برقة من آله ، فيه جماعة من وجوه كتامة ، وفيه بعض أهل المشرق في ألف فارس ومعهم هدية نجب ونخت وخيل وغير ذلك .

ونادى منادى إسماعيل تلك الليلة أن لا يصحبه الزمنى (١) ولا الجبناء (٢) فانصرف جماعة منهم تلك الليلة من القيروان ودفع عن ساقية ممس (٣) وجعفر بن على الحاجب على طلائعه فنزل بوادى الرمل (٤) ورحل منه إلى بلاد سبيبة (٥) ففرق فيها الأرزاق ورحل منها إلى برناجة ومنها إلى ملاق (٦) ثم توجه إلى

- (١) الزمنى : الطاعنون في السن .
(٢) الجبناء : جمع جبان قال الزمخشري في أساس البلاغة : رجل جبان ورجال جبناء وفي حديث خالد : فلا نامت عين الجبناء -
انظر أساس البلاغة للزمخشري صفحة ١٠٦ - طبعة دار الشعب بالقاهرة - ١٩٦٠ .
(٣) ساقية ممس : هي قديمة بالمغرب وقال البكرى عنها : هي قرية عامرة أهلها وبها مسجد وفندق .
انظر كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب صفحة ١٤٦ .
(٤) وادى الرمل : واد متسع عذب الماء لا ينقطع مائه يقع في البلاد الليبية قرب قاجورة (انظر رحلة التيجانى ص ٣١٠ ط ١ تونس ١٩٥٨) .
(٥) سبيبة : من أعمال إفريقية ينسب إليها أبو عبد الله السببى الخطيب بالمهدية انظر ج ٣ معجم البلدان ص ١٨٦ .
(٦) ملاق : بالضم وتخفيف القاف اسم نهر (انظر معجم البلدان ج ٥ ص ١٨٩) .

باغية (١) ، فلما قرب منها ركب نجيباً وتقدم إليها مع طلائع عسكره فخرج إليه أهلها فهنوه ودعوا له وكانوا قد أغلقوا أبواب مدينتهم في وجه أبي يزيد عند انهزامه و مروره عليهم فشكرهم على ذلك وفرق في ضعفائهم دراهم كثيرة وأنشده أبو يعلى المروزي (٢) :

لقد تاهت بطلعتك الغروب
كما ابتهجت بدولتك القلوب
لقد زهت الخلافة إذ حذاها
نجيب راح يحمله النجيب

وسار إسماعيل فنزل بموضع يقال له أبو حميل ، ومنه إلى فحص طاقة ، ومنه إلى مدينة بلزمة (٣) ومنه إلى مدينة نقاوس وإلى طنبه (٤) فأقام بها أياماً كثيرة وورد عليه كتاب

(١) باغية : مدينة كبيرة لها واد يجرى إليها من الجنوب وسكانها برابر قرب جبل أوراس (انظر تزهة الانظار ج ١ ص ٢٩) .
(٢) أبو يعلى المروزي : هو شاعر في عهد أبي العباس إسماعيل المنصور وهو من أوساط الشعراء .

(انظر كتاب ملوك بني عبيد وسيرتهم صفحة ٢٦ طبعة الجزائر ١٣٤٦) .
(٣) بلزمة : حصن أولى وهو بساط من الأرض كثير المزارع والقرى وهي مدينة كثيرة الأنهار والآبار والمزارع (انظر كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب) .

(٤) بلدة في طرف إفريقية مما يلي المغرب على ضفة الزاب فتحها موسى بن نصير وسورها مبنى بالطوب وبها قصر وأرباض وليس بين القيروان إلى مجلماسة مدينة أكبر منها (انظر معجم البلدان ج ٤ ص ٢١) .

جعفر بن علي بن حملون صاحب المسيلة والزاب (١) يخبر بمحبوس عنده ثار بجبل أوراس واجتمعت عليه قبائل كثيرة من زواوة وصنهاجة وعجيسة ، فأعطى بطبنة الأرزاق ووسع على الرجال وأسقط جماعة من الزمى ومن لم يرض صحبته ، ورجع من طبنة فأتاه جعفر بن حملون بهدية منها خمسة وعشرون فرساً ومثلها نجباء وأربعة من النجباء وفارة شريفة موجهة .

وأناه بالثائر المذكور وكان غلاماً أمرداً (٢) ، جميلاً مقيداً ، راكباً جملاً وعلى رأسه طرطور مشهر ، وكان من أهل القيروان من أبناء الصاغة ، وكان ينظر كتب الصوفية ويقرأها ومعه أربعة نفر مقيدين . وجددهم جعفر في بعض الحصون المجاورة لأوراس بمن اتبع هذا الغلام ، وزعم أنه الإمام القائم بالحق فأمر إسماعيل بسلخه حياً وحشا جلده قطناً ، وجعله في قابوت ، وكان يصلبه في كل موضع يحل به (٣) وكذلك كان يفعل بأمثاله

(١) زاب الشيء إذا جرى وقال سلمه : ذاب يزوب إذا انسل هرباً والزاب الكبير واد منه بسكره وتوزر وقسطيله وقفصه الزاب أيضاً كورة عظيمة ونهر جرار بأرض المغرب عليه بلاد زاسعة بين تلمسان ومجلماسة وقد خرج من الزاب جماعة من أهل الفضل (انظر معجم البلدان ج ٣ ص ١٢٣) .

(٢) الصحيح أمرد من غير ألف لمنه من الصرف للوصفية ووزن أعمل .
(٣) هذا نموذج لمعاملة الفاطميين لخصومهم وهي معاملة بعيدة كل البعد عن الإسلام نصاً وروحاً وهي تدل على عدم انتهاء هؤلاء القوم للنسب النبوي الشريف .

من يبالغ في الانتقام منه حتى سمي (السلاخ) وقطع أيدي أصحابه وأرجلهم وصلبهم وقال في ذلك أبو يعلى المروزي :

ياخير من وهب العهود بعهده
وحكى لنا بالعهد سيرة جده
عجبا لمعتوه حدثه نفسه
بوساوس فيها شقاوة جده
عاداك وانسلخ الشقي من الهدى
حتى أمرت بسلخه من جلده

وسار إسماعيل فنزل بسكرة ودخلها وانتقمها مراراً ، وقتل قوماً من أهلها وفرق فيها الأرزاق ورحل منها إلى مقرة (١) وحشد أبو يزيد من بني زروال قبائل جبل سالات (٢) عدداً كثيراً وجندا كثيراً ، وجاءت لإسماعيل القبائل من كل جهة ، واستنفرهم من كل جهة ، واستألمهم بالطعام والكسي ، ووسع على كل

(١) مقرة : مدينة بالمغرب في بر البربر قرية من قلعة بني حماد بينها وبين طنبه ثمانية فراسخ وكان بها مسلحة للسلطان ضابطة للطريق ، ينسب إليها عبد الله ابن محمد بن الحسن المقرئ .

(انظر معجم البلدان ج : ٥ - صفحة ١٧٥ طبعة دار صادر بيروت ١٩٥٧) .

(٢) يقرأ جبل سلات بين تونس والقيروان على بعد ١٥ ميلا للقيروان

(انظر نزهة الأنظار ج ١ ص ٣٨) .

من جاءه وأحسن إلى كل من اطاعه ، وكاتب زيري بن مناد (١) وماكسن بن سعد (٢) وبعث إليهما أموالاً جمّة ، وثياباً جملة ، ومن الذهب والعين ، واللجين ، ومن التحف والطرف ، ما يستمال به النفوس ، واستلان به القلوب ، فأجاباه وخشدا الجمل الغفير من صنهاجة وعجيسة (٣) ووصلا إليه بكل ما قدرا عليه :

ونزل إسماعيل المسيلة فأقام بها أياماً ، تعدل أحوالاً (٤) ، بما فرق فيها من الأموال وسدد من الأحوال ، وجند من الجنود ، وعبا من العساكر ، وجهز من الجيوش ، وكتب إلى هواره الذين كانوا بالغدير يأمرهم بأخذ أبي عمار الأعمى (٥) وأصحابه ، وكانت

(١) زيري بن مناد : من أعظم ملوك البربر زعيم صنهاجة الشمال وبينه ومنراوة من زفانة حروب وقتن (انظر تاريخ ابن خلدون ٦-٣١٢ ط دار الكتاب اللبناني ١٩٥٩) .

(٢) ماكسن بن سعد : هو قائد من قواد أبي العباس إسماعيل المنصور أيام حربه مع يزيد وأتباعه . انظر ملوك بني عبيد وسيرهم صفحة ٢٧ - طبعة الجزائر ١٣٤٦ .

(٣) عجيسة : إحدى أجدام البرانس والبرانس أحد فرعي البربر .

(٤) كناية عما قام به من أعمال كثيرة في مدة قليلة .

(٥) أبو عمار الأعمى : ابن عبد الله الحميدى من مقدى الأباضية مات في حرب دامت رحاها وكانت شديدة بين المنصور العبيدى وأبي يزيد وكان مناصراً ليزيد ابن كيداد - حيث حاصرهم المنصور في جبل كياته فقتل هناك .

(انظر تاريخ الجزائر في القديم والحديث - للهلالي - الجزء : ٢ صفحة ٨٩) .

وفي رواية : ضرب عتقه إسماعيل المنصور بعد فتحه قلعة كيانة ليلة الأحد في

شهر المحرم سنة ٨٣٦ هـ .

قبل ذلك على أبي يزيد هزيمة عظيمة بموضع يعرف بعين السودان بين جبل كياتة ، فانهزم أبو يزيد وتبدد أصحابه فأخذ يزيد نحو صحراء مدينة بني خزر وأخذ أبو عمار الأعمى وأبو مدكول الأعمى صاحب آخر له نحو الغدير ، ووجه محمد بن خزر ابنه يعقوب إلى إسماعيل وهو بالمسيلة فأكرمه وحمله على فرس من مراكبه بسرج من سروجه ولجام من لجومه ووصله بعشرة آلاف دينار ، وتوجه إسماعيل من المسيلة في طلب أبي يزيد وقد بلغه أنه بجبل سالات ، وهو جبل وعرة شامخ دونه قفر ومفاوز ورمال ودكادك لم يدخلها جيش قط ، فمضى أحد عشر يوماً في تلك القفار والأوعار ثم نزل بسفح الجبل المذكور وأتاه أهل الجبل مهطعين طائعين فسألهم عن أبي يزيد فلم يجد عندهم خبراً عنه فأمرهم إن مربهم راجعاً أن يأخذوه ووعدهم على ذلك بأموال ووصلهم في الحال ، وكر راجعاً يريد بلاد صنهاجة (١) فبات ليلته تلك هو وأصحابه ودوابهم بغير علف ، وليسوا على ماء ولا معهم ماء وبلغت الجرة تلك الليلة ثلاثة دراهم وشربة ماء كذلك ، ومات كثير من أصحابه جوعاً وعطشاً ، وتراءت لهم نار في سفح الجبل ،

(١) صنهاجة : هي أوفر القبائل البربرية عدداً ولا يكاد قطر من أقطار المغرب يخلو من بطن من بطونهم في جبل أو بسيط حتى لقد زعم كثير من الناس أنهم الثلث من أم البربر وكان لهم في الردة ذكر وفي الخروج على الأمراء بإفريقية شأن وهم فرعان . صنهاجة الجنوب وصنهاجة الشمال وقامت باسمهم دول كثيرة في المغرب (انظر تاريخ ابن خلدون المجلد السادس ص ٣٠٩) .

فوجه من يتعرف خبرها ، فإذا هي نار أبي يزيد وأصحابه فعزم أن يصبحهم ، فلما كان الغد افترق عنه أصحابه واختلفت عليه (١) كلمتهم ، فقال له جمهورهم : يا مولانا أعظم الفتح وأجل الغنيمة التخلص مما نحن فيه ، فرحل يريد صنهاجة وأصحابهم مطر عظيم من ثلج كبير ففنعهم ذلك من ضرب الأخبية ، ونصب الأبنية ، واشتعال النيران .

ونزل إسماعيل في طرف صنهاجة في خباء لطارق الفتى ، ثم توجه إلى حائط حمزة هناك ، وفرق الأرزاق وأجزل العطايا ووصل إليه زيري بن مناد في عساكر صنهاجة فوصله وفضله ، وخلع عليه ثياباً كثيرة من لباسه وأعطاه من الطيب والطرائف الملوكية ما لا يحيط به الوصف ولا يعمه الحصر ، وحمله وحمله وحمل أولاه وإخوته وبني عمه ووجوه أصحابه على الخيل العتاق بالسروج والحجم المخلاة بالذهب والفضة ، وأفاض عليهم وعلى كافة صنهاجة الواصلين معه الأموال إفاضة استسلم بها قلوبهم واستخلص أعيونهم ، أفصفت نياتهم ، وخلصت أطوياتهم ، وحسنت فيه معتقداتهم ، ورحل من حائط حمزة فنزل على وادي لعلع (٢) في شعار كذلك ، فرض به نحو شهرين وعميت عليه

(١) في الأصل (عليهم) .

(٢) وادي لعلع : هو واد يوجد في أحد جهات جبل سالات الذي يقع جنوب المسيلة (انظر تاريخ الجزائر في القديم والحديث الجزء ٢ صفحة ٦٩) .

أخبار أبي يزيد وعزم على المسير إلى تاهرت فتوجه إليها ، وبلغ أبا يزيد ذلك فخالفه إلى المسيلة فحصرها واتصل الخبر إلى إسماعيل وكر راجعا فأغذ السير ، وطوى المراحل ، ووصل إلى الإدلاج والتأويب بالإنشاد فلما قرب من أبي يزيد ارتفع إلى جبل عقار (١) وكياته ، ودخل إسماعيل المسيلة فأقام بها ووجه مسرورا إلى سطيف (٢) لا ستنفار كتامة ووجه خفيفا الفتى إلى ميلة (٣) لمثل ذلك ، وقتل هبتون بن محمد الكاتب ، وكان خرج مع شفاء الفتى فبغى عليه ، وجاءه رسول الخير بن محمد بن خزر الزناتي في نحو مائة فارس يقال إنه أقام عودته بمدينة الأغواط (٤) وغيرها من عمله وسأله أن يبعث إليه بالخطبة والسكة ليضربها على اسمه ، فأكرم رسله ووصلهم وجاوبه وبعث إليه بما طلب وأمر أن يأمر رفاق زناته بالاختلاف إلى المسيلة والقيروان بالأطعمة والمرافق ،

(١) جبل عقار : هو جبل في جهة من جهات المسيلة - طارد فيه إسماعيل المنصور أبا يزيد (انظر ملوك بني عبید وسيرهم صفحة ٣٠ - طبعة الجزائر ١٣٤٦) .
(٢) سطيف : مدينة في جبال كتامة بين تاهرت والقيروان من أرض بربر ببلاد المغرب وهي صغيرة إلا أنها ذات مزارع وعشب عظيم (انظر معجم البلدان ج ٣ ص ٢٢٠) .

(٣) ميلة : مدينة صغيرة بأقصى أفريقية بينها وبين بجاية ثلاثة أيام ليس لها غير المزروع وهي قليلة الماء بينها وبين قسطنطينة يوم واحد .

(انظر معجم البلدان ج : ه صفحة ٢٤٤ طبعة دار صادر بيروت ١٩٥٧ .

(٤) الأغواط : مدينة جزائرية أول الصحراء بين جبل عمور والجنوب

الجزائري .

وكتب إلى مدام الفتى يأمره بحفظ من وصل إليه من زناته ولا يمنعهم من شراء السلاح ولا يكلفهم قبالة ولا مغرما ، وصار أبو يزيد محصورا في جبل كياته غير أن الطعام كان عنده رخيصا ، كانت الرفاق تأتيه به من سدراته ، وبطيوس ، وهي من بلاد بسكرة ، فكتب إسماعيل إلى زناته يأمرهم بالإغارة على سدراته والاستئصال لهم ففعلوا ذلك وقتلوهم وسبوا حريمهم وانتهبوا أموالهم . فتوقف الناس عن المسير إلى أبي يزيد بالأطعمة وكانت بين أبي يزيد وإسماعيل وقعة بفحص باتنة ، وباتنة اسمها القديم باذنه مدينة عظيمة خربت بينها وبين المسيلة اثنا عشر ميلا ، قتل فيها من أصحاب أبي يزيد نحو عشرة آلاف بين راجل وراكب أكثرهم من بني كملان وزناته ويعرف يوم هذه الوقعة بيوم الرؤوس ، وانهزم أبو يزيد وعقر فرسه وسقط إلى الأرض فقرب له أصحابه فرسا آخر فركبه فعقره تحته أيضا زيري بن مناد ، وسقط إلى الأرض فترجل إلى يونس ابنه وابن اخت له وجماعة من قرابته وأصحابه وجرح بين كتفيه وبين وركيه واستنقله سائر أصحابه عن جهد (جهيد) وبعد قتال شديد ، وكتب إسماعيل إلى (مدام) بذلك كتابا فقرا كتابه بالقيروان ، وذكر في كتابه أن رسول محمد بن علي بن الجراح وفضل بن العباس وصل إليه بكتابينهما وأنها قاما بدعوته بالعراق . ولحق أبو يزيد بكياته (١) ورحل إسماعيل من المسيلة بشرة

(١) كياته : هي جبل يوجد في جهات المسيلة .

(انظر تاريخ الجزائر في القديم والحديث الجزء الثاني صفحة ٨٩ - الطبعة الأولى) .

شهر رمضان يوم الجمعة سنة ٣٣٥ .، انزل بموضع يعرف بالناظور (١) وهو موضع معروف بأروسن من اجنات القلعة محاصراً لأبي يزيد ، ثم صعد يوم السبت الثاني من رمضان إلى جبل كياتة وصعد في وعربين صخور ومشى فيها راجلاً في أماكن كثيرة ، فكانت بينه وبين أبي يزيد وقعة عظيمة تعرف بوقعة الحريق ، وأحرق فيها إسماعيل أخصاصا كثيرة لأصحاب أبي يزيد ، وقتل منهم عدداً كثيراً ثم انهزموا في آخر النهار وسبى إسماعيل نساءهم وذرائعهم ، وأخذ لهم من الخيل والجمال وصنوف الحيوان ما يفوت الإحصاء ، ويستغرق الاستقصاء وارتفع أبو يزيد ودخل قلعة كياتة (٢) وهي تاقربوست المطلة على قلعة حماد (٣) ،

= وقال البكري : هي قلعة كبيرة ذات منعة وحصانة تمصرت عند خراب القيروان انتقل إليها أكثر أهل إفريقية وهي اليوم مقصد التجار وتحل بها الرحال من العراق والحجاز ومصر والشام وسائر بلاد المغرب ، وهي اليوم مستقر ملكة صنهاجة . وبهذه القلعة كان تحصن أبو يزيد مخلد بن كيداد من إسماعيل المنصور . (ويسمى البكري قلعة أبي الطويل) انظر المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب للبكري .

(١) الناظور : هو موضع معروف بأروسن من جنات القلعة حاصر فيه إسماعيل المنصور أبا يزيد سنة ٨٣٥ . (انظر ملوك بني عبيد وسيرهم صفحة ٣١ الجزائر ١٣٤٦) .

(٢) قلعة كياتة : أو تاقربوست : وهو اسم بربري للقلعة .

(٣) قلعة حماد : مدينة متوسطة بين أم وأقران لها قلعة عظيمة على قلة جبل . تشبه في التحصن ما يحكى عن قلعة أنطاكية وهي قاعدة ملك بني حماد بن يوسف الملقب =

ورجع إسماعيل على الناظور وبعث قيصر القتي وزيري بن مناد الصنهاجي في جمع كثير إلى أهل غديروان وهي المقدمة ذكرها وهي على نحو الخمسة عشر ميلاً من القلعة من الجهة الشرقية وكان بناها وسورها لبني حماد مملوك لهم روى يقال له بونياس (١) ، فقتلهم وسبى ذرائعهم وأحرق ديارهم ، وأظنه نقم عليهم أبا عمار الأعمى وأصحابه ، ثم سار قيصر إلى قلعة المرى وهي قلعة كياتة بجبل القلعة وجبل القلعة معروف ، وهذا الاسم له كالعالم الموقوف ، وسمتها البربر المرى وإنما هو المرأة كانت منصوبة عليها في الزمان الأول ، فنزل إليه أهلها بأمان ، ثم توجه إلى أوسجيت وهي بسفح جبل القلعة وهي من جهة الشمال مما يلي بلاد عجيسة ، فهربوا منه وصاروا مع أبي يزيد ، ثم توجه إلى بني عوسجة وهي من عجيسة فقاتلهم في وعر شديد وجبال متمنعة حتى تغلب عليهم وتمكن منهم ، وحارب قلعة تناكر وتقول البربر للموضع الآن شبيكر ، فاستأمنوا إليه ، ثم نهض إلى كياتة فكان قيصر هذا يقاتلها من جهة غربها وإسماعيل يقاتلها من جهة شرقها . وجاء الفطر (٢) فصلى إسماعيل وخطب على ما تقدم وتمادى على حصار أبي يزيد وحفر خندقاً حول

= بيلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي البربري وهو أول من أحدثها في سنة ٢٧٠ وهي قرب أشير من أرض المغرب الأدنى . انظر معجم البلدان الجزء ٤ صفحة ٢٩٠ طبعة دار صادر بيروت ١٩٥٧ .

(١) بونياس : مملوك روى كان لبني حماد . وهو بناء بارع بني غديروان . (٢) أي عيد الفطر .

معسكره بأسفل جبل كياتة ، وهو الذى يسمى الآن خندق الديباج ،
لأخيه ديباج . كان إسماعيل ظهر بها فى ذلك المكان ، وبنى تنورا
كبيرا ، وأضرمه ناراً وعلق عليه بكرة فإذا أخذ أحداً من البربر
علقه برجليه إلى البكرة ، ثم ماله (١) فى التنور إلى موضع يناله حر
النار فيه ، فإذا أشرف على الموت روح شيئاً ، فإذا رجعت إليه
نفسه أعاده حتى يموت (٢) ، وعمل فقصاً من خشب وأدخل فيه
قردين ذكراً وأنثى ، وقال لأصحابه لا بد من مخلد بن كيداد من
دخول هذا القفص ومقارنته فيه مع هذين القردين ، ونصبه قبالة
أبى يزيد ، فقال محمد بن المنيب فى ذلك :

| | |
|---------------------|-----------------------|
| حل البلاء بمخلد | وجميع شيعته النواكر |
| أمسى بأرض كياتة | قد بان منه كل ناظر |
| يرنو بطرف خاشع | نظر المحاصر للمحاصر |
| يرنو إلى عدد الحصى | والرمل من تلك العساكر |
| يا مخلد ابن سبيكة | يا شربيت فى العشائر |
| ذق ما جنته يدك قبل | من الكبائر والصغائر |
| ذق هول شقك للبطون | وما ارتكبت من الجرائر |
| يا شر من بكياتة | وكياتة شر البرابر |
| أنظر إلى القفص الذى | لا بد فيه أنت صائر |

(٢) أماله فجعل رأسه إلى أسفل .

(١) وهذا نموذج آخر من نماذج معاملة الفاطميين لإخوانهم المسلمين .

وانظر إلى أيديك فيه ومؤنسيك ومن تجاور
قد طال شوقهما إليك فزرهما يا شرزائر
وكتب إسماعيل إلى أبى يعقوب بن خليل فأتاه بخمسة وعشرين
مركباً ووصل بها إلى موسى الدجاج وتمادى على حصار أبى يزيد
ومحاربته .

وكان يقول دار ملسكى منزلتى ومحاربتى أين ما كنت من
البلاد — حتى يقطع الحجابى الفساد — وزحف إلى قلعة كياتة يوم
الأحد (من المحرم) سنة ٣٣٦ (١) وصعدت العساكر بين يديه من
الزويلين وغيرهم فأحاطت بأبى يزيد وأصحابه وكانت بينهم حروب
كبيرة عظيمة من أول النهار إلى آخره فلما كان الليل أشعل إسماعيل
النيران وتمادى على الحرب ، فخرج أبو يزيد ومن معه فحملوا
حملة رجل واحد ، فقتل أكثرهم وتخلص أبو يزيد بفرحين على
جبهته وترقوته إلى أسفل الجبل ، وأحاط إسماعيل بالقلعة وتغلب عليها
ودخلها وألقى بها عمار الأعمى وجماعة من وجوه النكار ، فضرب
أعناقهم تلك الليلة ، ولمسا أصبح يوم الأحد أمر بطلب أبى يزيد فلم
يوجد واغتم بذلك ، وأمر بطلبه فأصابه قوم من الزويلين فى بعض
شعاب الجبل المسمى به الذى تقدم ذكره ، فأرادوا قتله فلم يعرفوه
فعرفهم بنفسه ، فأعطاهم مالا كثيراً كان معه ونحاته وثيابه ، فتركوه

(١) سنة ٣٣٦ هـ : يقابل ذلك بالتاريخ المسيحى ٩٤٧ م .

ووجده آخرون فأتوا بأبي يزيد إلى إسماعيل فأعطاهم ألف دينار وأعطى جماعة آخرين ادعوا أخذه عشرين مثقالاً ، فقال لأبي يزيد ما حملك على ما فعلت ؟ فقال أردت أمراً فأباه الله ، فكساه وأمر بمداراته والإحسان إليه ؛ طمعا أن يصل به إلى القيروان فكان عند جعفر الحاجب إلى أن مات من جراحه يوم الخميس لليلة بقيت من محرم وقيل : إن الدم نزفه وهو يكلم إسماعيل فمات بين يديه ، فأمر إسماعيل بسلخه وحشو جلده قطناً وخيطة وصاله حتى تمت جثته ، وصار كأنه نائم وقد دلت لحمه وملح وأمر بحمل جميع ذلك (١) وبعث برؤس القتلى وبكتاب إلى مدام الفتى فقرأ الكتاب على المنبر وطوفت الرؤس بالقيروان ، وقال بعض الشعراء (٢) في سلخ أبي يزيد :

أما النفاق فقد نسخ وأبو الكبائر قد سلخ
كان الفويسق مخلص فرداً ولكن قد مسخ
لو قد رأيت محله وبنو الحداية تسطرخ
لرأيت ما عقد اللعين بلطف ربك قد فسخ

(١) وهذه صورة أخرى تضاف إلى أسلوب معاملة الفاطميين لخصومهم ، وهو أسلوب يبرأ منه الإسلام ، وهو يوحى بالشك في حقيقة هؤلاء الفاطميين وفي صلتهم ببيت النبوة ، وأين أسلوبهم هذا من أسلوب الرسول عليه الصلاة والسلام (اذهبوا فأنتم الطلقاء لوجه الله تعالى) وهذا مع الكافرين . فكيف مع المسلمين ؟ !! بل ما علاقة أسلوبهم هذا من معاملة الإمام علي رضي الله عنه لخصومه ؟ !!

(٢) المنافقين ، وما أكثرهم !!

وقال من قصيدة :

فسلخته من جلده وحشوته حشو المزود
وضربته مثلاً يسير في الأقارب والأبعاد
وردت به أطماعه وظنونه شر الموارد

ثم انصرف إسماعيل إلى المسيلة وتوجه منها إلى تاهرت يوم الثلاثاء لست بقين من صفر من هذه السنة ، فلما وصل إليها أمر بنبش عظام مصالة وفضل بن حبوس (١) وأحرقها بالنار وأحرق منبر جامعها لكونه خطب عليه لعبد الرحمن بن محمد (٢) ، وأقام بها أياماً وولى عليها وانصرف إلى القيروان بعد أن كتب كتاباً قرئ بالقيروان أن والده القائم بأمر الله كان توفي في شوال سنة ٣٣٤ وأنه ستر ذلك من أجل الحرب ، ولثلا يسر بذلك الدجال اللعين مخلد ابن كيداد ، وأمر أن يسمى هو المنصور بأمر الله وأن يكتب ذلك في الطرز ، ثم وصل إلى أفريقية ووصل كتابه إلى قرطاجنة (٣) يوم السبت لسبع بقين من جمادى الأخيرة يخبر بقدمه فقرأ على المنبر

(١) مصالة وفضل ابنا حبوس - من أتباع الفاطميين لكنهم اختلفوا معهم (انظر البيان المغرب حوادث سنة ٣٠٤ ، ٣٠٥) .

(٢) المراد عبد الرحمن الناصر (الثالث) أمير الأندلس بين ٣٠٠ ، ٣٥٠ هجرية .

(٣) قرطاجنة : بلد قديم من نواحي إفريقية ، وقد بنى المسلمون من رخامها لما خربت عدة مدن وهي على ساحل البحر بينها وبين تونس اثنا عشر ميلاً .

(انظر معجم البلدان الجزء الرابع صفحة ٣٢٢ طبعة صادر بيروت ١٩٥٧ م) .

وأخرجت إليه الطبول والبنود والنجائب ، فلما كان يوم الخميس لليلتين بقيتا من هذا الشهر خرج القاضي محمد بن أبي المنظور (١) في جماعة من وجوه القيروان فتلقوه وسلموا عليه وهنوه بالفتح ، ووصل إلى قصره بصبرة وصلى صلاة الظهر من هذا اليوم ودخل من باب الفتوح (٢) وعليه ثوب ديباج سفر جلي مصمت ، فلما انتهى إلى مجلسه ونزل سجد لله عز وجل ، ولما كان يوم الجمعة يوم وصوله جلس في مجلسه ودخل عليه القاضي فأدناه وقربه ، وأجلسه وأذن للناس كافة ، فدخلوا عليه أفواجا ، وسلموا عليه وهنوه بالقدوم والفتح ، ونهض من مجلسه فحجب الناس . وصعد إلى قبة مشرفة ، فجلس فيها مع خاصته ، وأمر بأبي يزيد فأخرج من تابوت كان فيه وألبس قيصاً ، وقلنسوة بيضاء ، وأركب جملاً وأردف خلفه من يمسكه وألصق إلى جنبه عودان وربط إليهما وجعل عليهما قردان قد علما ، فكانا يصفعانه ويعبثان بلحيته ، وأخرج من صبرة (٣) من الباب الشرقي فطوف بالقيروان وبصبرة ،

(١) أبو عبد الله محمد بن أبي منظور الأندلسي أقام بالقيروان عنده رواية وإدراك وكتب علماً كثيراً .

(انظر قضاة قرطبة ص ٢٢٧ ط الطار سنة ١٣٧٢) .

(٢) باب الفتوح : هو أحد أبواب مدينة صبرة من الجهة الغربية . وكان المنصور إذا عزم على الحرب خرج منه . انظر ملوك بني عبيد وسيرهم صفحة ٢٤ - طبعة الجزائر ١٣٤٦ .

(٣) صبرة : في سنة ٨٣٣٦ أمر المنصور أبا طاهر ببناء صبرة واختطها وسماها المنصورية . انظر البيان المغرب ج : ١ - صفحة ٣١٢ .

ثم صرف إلى التابوت ، وفي هذا اليوم قدم عليه صاحب القسنطينية مع السرد عوس في نحو ثلاثمائة رجل وظفر بفضل بن أبي يزيد ، وقد حشد واحتفل فخرج إليه إسماعيل فهزمه ، وهدركنه وهدمه ، ورجع ودخل صبرة وبنوه وإخوته يمشون بين يديه ، وقرب إليه ولد صغير فأخذه من الفتى وجعله في السرج - قدامه حتى دخل عليه من باب وعليه ثوب فرفرى أبيض بصنائف عراض وعلى كفيه مثل ذلك ، وهو متوشح بخز أحمر ، ويده اليمرى رمح وهو يسلم على الناس باليمين ، وبعد ذلك توجه إلى المهديّة (١) بأهله وإخوته وأطلق من الحبس عشرين رجلاً من بقايا بني الأغلب ووصل كلا منهم بعشرين مثقالاً ونفاهم إلى مصر ، وفي يوم السبت لثلاث عشرة بقين من ذي القعدة سنة ٣٣٦ طيف بالقيروان برأس الفضل بن أبي يزيد (٢)

- وقال البكري : بلد قريب من مدينة القيروان بناها إسماعيل بن أبي القاسم ابن عبيد الله سنة ٣٣٧ . واستوطنها . انظر معجم البلدان الجزء : ٣ صفحة ٣٩١ طبعة دار صادر ١٩٥٧ (وينظر هذا الوصف التفصيلي للشع بأبي يزيد كيداد) .

(١) المهديّة : مدينة بإفريقية تقع على ساحل بحر الروم داخلية فيه ككف على زند عليها سور عال محكم كأعظم ما يكون . انظر معجم البلدان الجزء : ٥ صفحة ٢٣٠ طبعة دار صادر بيروت ١٩٥٧ ، وقد سبق الإشارة إليها .

(٢) الفضل بن أبي يزيد : هو قائد ثائر ضد العبيديين في جهة أوراس حيث ثار على المنصور العبيدي وحاصر مدينة باغية إلا أنه هزم من طرف زيري بن مناد ومات غداً من طرف باطيط بن يعلى الزناتي في ذي القعدة سنة ٨٣٣٦ .

(انظر تاريخ الجزائر في الحديث والقديم ج : ٢ صفحة ٩٠) .

بعث به باطيط بن يعلى الزناتى (١) مع ولده وكان قتله إياه غدرًا بجوار باغية فأعطى ولد باطيط ألف بمقال ، ووصله وحمله ووصل أصحابه ، وبعث برأس فضل وجثة أبيه أبي يزيد إلى صقلية مع حسين بن على بن أبي الحسين ، فعطب الموكب وذهب رأس فضل وطفئت جثة أبي يزيد على الماء ، فردت إلى المهديّة وصلبت على مجرى الخاية (٢) .

وفى هذه السنة مات القاضى محمد بن أبي المنصور بن حسان الأندلسى الأنصارى .

وفىها انصرف إسماعيل من المهديّة إلى صبرة فاستوطنها وسمساها المنصورية ، واستقر إسماعيل بالقيروان فصلى بهم ركعة ، ثم كبر وقام إلى الثانية فكبر خمسا ثم صعد إلى المنبر فحول زداءه وحول وجهه إلى القبلة وكبر مائة تكبيرة ، ثم حول وجهه إلى اليمين فسبح مائة تسبيحة ، ثم حول وجهه إلى اليسار فهلل مائة تهلية ، ثم استدبر

(١) باطيط بن يعلى الزناتى : هو قائد من قواد إسماعيل المنصور وهو الذى قتل الفضل بن يزيد غيلة وغدرًا بجوار مدينة باغية وقد أغدق عليه المنصور أموالا طائلة جزاء له .

(انظر ملوك بنى عبيد وسيرهم صفحة ٣٨ طبعة الجزائر ١٣٤٦) .

(٢) مجرى الخاية : هى مكان بالمهديّة صلبت فيه جثة أبي يزيد الذى تقرر فى أول الأمر لإرسالها إلى صقلية مع حسين بن على بن أبي الحسين لكن وقع عطب فى المركب فطفئت جثته فوق الماء وردت إلى المهديّة فصلبت بهذا المكان الذى يدعى بمجرى الخاية . (انظر ملوك بنى عبيد وسيرهم صفحة ٣٨ طبعة الجزائر ١٤٢٦) .

القبلة ، فخطب خطبتين فجلس بينهما ودعا وانصرف . وذكر أنها صلاة أهل البيت عليهم السلام (١) .

وفى سنة ٣٣٣ . زحف يزيد بن أبي يزيد إلى باغية محاربا لها وانهزم عنها .

وفىها قتل أيوب بن أبي يزيد بعد انصرافه من الأندلس وكان وفد على عبد الرحمان (٢) . ابن محمد فقتله عبد الله بن بكار (٣) غيلة .

وفىها استأمن بنو كملان بإسماعيل فأمنهم على سكنى عيالهم بالقيروان .

وفى سنة ٣٤٠ توفى أبو كنانة بن أبي القاسم بن عبد الله .

وفىها طهر إسماعيل أولاده وطهر معهم ألف صبي من أهل القيروان من أبنائهم وكساهم وأعطاهم ما ينفقون وأمر كتامة أن يطهروا أولادهم .

وتوفى إسماعيل يوم الجمعة سلخ شوال سنة احدى وأربعين وثلاثمائة أو سنة تسع وثلاثين وكانت ولايته سبع سنين وسبعة عشر

(١) هذه الصلاة بدعة لا أصل لها وليس هناك صلاة خاصة بأهل البيت !!!

(٢) عبد الرحمن بن محمد الناصر الخليفة الأموى الأندلسى .

(٣) هو عبد الله بن بكار اليفرنى اغتال أيوب بجبل أوراس عندما وفد أبوب هذا على الخليفة الناصر ، وعبد الله هذا قائد مناصر لإسماعيل المنصور (انظر تاريخ الجزائر فى القديم والحديث ج ٢ ص ٩٠ ط قسنطينة) .

يوما مرض باسهال من فرحة كبده وخلف خمسة ذكور ، وحاجبه
جعفر بن علي وقضاته أحمد بن الوليد ثم محمد بن أبي المنظور
ثم عبد الله بن هاشم (١) .

المعز

هو معد بن تميم ولد بالمهدية يوم الاثنين في رمضان سنة ٣١٩
وولي وله اثنتان وعشرون سنة ، وكان هواره هم الذين قاموا بأبي
يزيد ولم يزالوا قائلين لأبي عبيد مقيمين على حريهم والخلاف فخرج
المعز في جيش عظيم إلى جبل أوراس فلما سمعوا بخروجه جمعوا له
بسفح غزالة على مقربة من مدينة باغية فلما وصل الأوراس جهز
بلكين بن زيري بن مناد (١) ووجهه إليهم ، ورجع هو إلى القيروان
فهزمهم بلكين ، وفرق جموعهم وشتهم فتمزقوا أيادي (سبا)
وتبددوا في بلاد الزاب (٢) وغيرها ومنهم من وصل إلى بلاد
السودان (٣) فأقام بها فما التقى رائج منهم بمبتكر ، وتوفي كافر

(١) بلكين بن زيري بن مناد : أبو الفتوح يوسف بلكين بن زيري توفي في
٢١ من ذي الحجة سنة ٣٧٣ كان في أول الأمر من عمال الفاطميين .
انظر معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي صفحة ١٠٩
الجزء : ١ طبعة القاهرة ١٩٥١ —

وقال ابن خلدون : هو قائد من قواد المعز استخلفه على إفريقيا والمغرب
وأنزله بالقيروان وسماه يوسف وكناه أبا الفتوح .

انظر تاريخ ابن خلدون ج : ٤ صفحة ١٠٣ طبعة دار صادر .

(٢) بلاد الزاب : كورة عظيمة ونهر جرار بأرض المغرب على البر الأعظم
عليه بلاد واسعة وقرى متواطة بين تلمسان وسجلماسة والنهر متسلط عليها .

(انظر معجم البلدان ج : ٣ صفحة ١٢٤ طبعة دار صادر بيروت ١٩٥٧) •

(٣) بلاد السودان : بالمغرب الأقصى .

(انظر تاريخ ابن خلدون ج : ٤ صفحة ٢٤٥ طبعة دار صادر ١٩٥٧) •

(١) أحمد بن الوليد هو أحد قضاة إسماعيل بن عبيد الله حيث ولته العامة فأقره
وعبد الله بن هاشم أحد قضاته أيضا (انظر حولها أخبار ملوك بني عبيد وسيرهم
ص ٢١ وص ٣٩ ط الجزائر ١٣٤٦ وفي تحقيقنا) .

الإخشيدى بمصر سنة ٣٥٦ ، وقدم المعز القائد أبا الحسن جوهر الكاتب مولى أبيه إسماعيل المنصور إلى مصر ، وجوهر هذا روى جليبه خادم يعرف بصابر ، ثم انتقل إلى خادم يعرف بجزان ثم انتقل إلى الخادم خفيف ، فوجهه إلى المنصور ، فتوجه إلى مصر فافتتحها (١) وكان فتحه لها يوم الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من شعبان سنة ٣٥٨ وهرب أعيان الإخشيدية من مصر إلى الشام قبل وصول جوهر وأقيمت الدعوة للمعز في يوم الجمعة لعشرين من شعبان بالجامع العتيق ، ودعا له أبو مسلم العلوى بالمدينة ، وسار جعفر بن فلاح إلى الشام فقبض على الحسين بن عبيد الله (٢) ، وأنفذه إلى جوهر ثم أنفذه جوهر مع جماعة من الإخشيدية بقوا بمصر إلى المعز مع ولده جعفر ومعه هدية في سنة ٣٥٩ ، وفي يوم الجمعة الثاني من جمادى الأولى سنة ٣٥٩ راح القائد جوهر إلى جامع ابن طولون ، وأذن المؤذنون وخطب عبد السميع العباسى وقت

(١) سارت حملة جوهر نحو مصر في اليوم الرابع عشر من شهر ربيع الثاني سنة ٣٥٨ هـ (انظر معجم البلدان ١-٣٤٨) وذلك في جيش يربو على مائة ألف ، وقد وصفه أحد المصريين بقوله : مثل جمع عرفات كثرة وعدة (انظر تماظ الحنفا للمقرئ ص ٧١) .

(٢) ورد في ابن كثير (البداية والنهاية ١١-٢٦٧) أنه الحسن بن عبد الله بن طنج أبو محمد - وكان بالرملة من الشام فقاتله جعفر بن فلاح قائد الفاطميين الذى أرسله جوهر الصقل إلى الشام لإخضاعها للفاطميين - أما قائد دمشق فكان الشريف أبا القاسم بن يعلى الهاشمى ، وثقه هزمه جعفر أيضاً وحمله إلى جوهر بمصر ، فحمله جوهر وابن طنج إلى المعز الفاطمى بالمغرب .

عبد السميع قبل الركوع ، وسجد ونسى الركوع ، فصاح على ابن الوليد قاضى عسكر جوهر بطلت الصلاة أعد ظهرا أربعاً ، ثم أذن بحى على خير العمل ، بالجامع العتيق لأربع بقين من جمادى الأولى ، وجهر في الصلاة بالبسملة وكتب جوهر إلى أهل الريف والصعيد :

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد أمير المؤمنين (١) جوهر لجماعة أهل الريف والصعيد هذا أمان لكم على أنفسكم وأموالكم وأولادكم من أمير المؤمنين المعز لدين الله لتقرؤوه وتقفوا على ما فيه من جميل رأى أمير المؤمنين لكم ، وحسن نظره إليكم ، وتحمدوا (١) الله تعالى على أموالكم وتشكروه وتسارعوا إلى الطاعة العاصمة لكم ، العائدة بالسعادة المفضية (٢) إلى السلامة بكم ، ولم يرد بإخراج هذه العساكر المنصورة ، والجيوش المظفورة الإمامية إلا إعزازكم وحمايتكم والجهاد عنكم ، إذ تحطفتكم الأيدي واستمال عليكم من طمعت نفسه الاقتدار عليكم ، فشمل المسلمين الذل ، واتصل عندهم الخوف ، وكثرت استغاثتهم ، وعلا صراخهم ، وأبكى عينه ماناهم ، وأسهرها ما حل بهم ، ومولانا أمير المؤمنين يرجو من الله سبحانه وتعالى بفضله عليه ، وإحسانه الجميل إليه ، وما عوده وأجراه عليه ، استنقاذهم من الذل المقيم ، والعذاب الأليم ، وأن يؤمن

(١) في الأصل وتحمدون .

(٢) في النسخة المطبوعة (العظيمة) .

من استولى عليه الوهل (١) ، ويفرج فزع (٢) من لم يزل في خوف ووجل ، وإجراء إقامة الحج الذي تعطل ، وإهمال العباد فروضه وحقوقه ، للخوف المستولى عليهم ، إذ لا يأمنون على أنفسهم ولا على أموالهم واعتماده لإصلاح الطرقات ونبي الفساد منها ، وقطع عبث العابثين فيها ، لينصرف الناس آمنين ، وينبسطوا (٣) مطمئنين ، وليتخلفوا إلى مدينة مصر بالأطعمة والأقوات ، إذ كان قد انتهى إليه إفساد القرامطة (٤) لعنهم الله في الأرض وبغيهم بغير الحق ، ولم يقيم للمسلمين ناصر ، ولا أعانهم قاهر ، على من أظلموا وإذ لا زاجر للمتعدين ، ولا قانع للظالمين ، وقد أمر بتحويل السكة وردها إلى العيار الذي عليه السكة الميمونة المباركة ، وقطع الغش منها ، ثم ما عهد به سيدنا ومولانا أمير المؤمنين من نشر العدل وبسط الحق ورفع الظلم وقطع العلوان ونبي الأذى والمساواة في الحق وإعانة المظلوم وقمع الظالم وأن أحكم في الموارد على كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأمرني أن أضع ما كان يؤخذ

(١) الوهل : الفجأة والاضطراب .

(٢) في النسخة الأصلية (ذرع) .

(٣) في الأصل وينبسطون ، وهي جائزة على الاستئناف ، والأولى العطف .

(٤) في هذه السنوات ، وبعد أن اتسع نفوذ الفاطميين بدأوا يتخلصون من

علاقتهم بالقرامطة حتى لا يسبوا لإخراجهم ، ولا سيما وأن القرامطة قد افتضح

أمرهم في العالم الإسلامي بعد اعتدائهم على الكعبة وأخذهم الحجر الأسود - ولعل

حرص المعز على لعنهم حتى يدفع ما شاع عن علاقة الفاطميين بهم .

من تركه موتاكم لبيت المال من غير وصية للمتوفى ولا استحقاق وتصييرها إلى بيت المال ، وأن أتقدم في رسم مساجدكم وتنزيهها وتزيينها بالفرش ، وإعطاء مؤذنيها وقومتها ومن يؤم فيها أرزاقهم وإدراجها عليهم ولا أقطعها عنهم ولا أدفعها إلى بيت المال وإقامة من شاء على ملته إذ كان الإسلام سنة واحدة وشريعة متبعة وأن تبقوا على ما كنتم عليه من أداء الفروض في العلم والاجتماع عليه في جوامعكم ومساجدكم على ما كان عليه سالف الأمة من الصحابة والتابعين بعدهم وفقهاء الأمصار الذين جرت الأحكام بمذاهبهم ، وأن تجرى فروض الأذان والصلاة والصيام لشهر رمضان وفطره والزكاة والحج والجهاد على أمر الله عز وجل في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وإجراء أهل الذمة على ما كانوا عليه . ولكم أمان الله التام العام الدائم المتصل الشامل الكامل المتجدد المديد على مرور الليالي والأيام وتكرر الأعوام في أنفسكم وأهليكم ونعمكم وأموالكم ورباعكم وضباعكم وقليلكم وكثيركم ، لا يتعرض عليكم متعرض ولا يتعقب عليكم متعقب ، وعلى أنكم تحرسون ويذب عنكم ويمنع منكم من يريد أذاكم ، ولا يسامح أحد (١) في الاعتداء عليكم ولا يترك إلى الاستطالة على قلوبكم ، مظلا على ضعيفكم ، ولا أزال مجتهداً فيما يعمكم صلاحه ويشملكم نفعه ، ويتصل بكم خيره ، وتعرفون بركته وتغبطون بطاعة سيدنا ومولانا أمير المؤمنين

(١) في الأصل (أحدا) بالنصب ، والصحيح ما ذكرناه .

وعليكم الوفاء ما ألزمته نفسي وأعطيتكم به عهد الله وغليظ ميثاقه
وذمته وذمة نبينا محمد مولانا وسيدنا صلى الله عليه وسلم ورسوله
وذمة الأئمة موالينا أمراء المؤمنين فلدس الله أرواحهم وذمة مولانا
أمير المؤمنين أعزه الله تعالى ، فتخرجون إلى وتسلمون على وتكونون
بين يدي إلى أن أعبّر الجسر وأنزل في المناخ المبارك وتحافظون على
الطاعة وتبادرون وتسارعون إلى فروضها ، ولا تتخذلوا وليا بمولانا
وسيدنا أمير المؤمنين ولا تنصروا (١) له علوا وتقيمون على ما عهدتم
عليه ، وفقكم الله وأرشدكم أجمعين ، وكتب هذا الأمان في شعبان
سنة ٣٥٨ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليما ، قال
جوهر الكاتب مولى أمير المؤمنين المعز لدين الله : كتبت هذا الأمان
على ما نفذ به أمر مولانا وسيدنا أمير المؤمنين على الوفاء بجميعه
لمن أجاب من أهل البلد وغيرهم إلى ما شرط فيه والحمد لله رب
العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل وكتب جوهر المذكور فيه وأشهد
فيه الشهود .

وبنى جوهر القاهرة وسماها بهذا الاسم ووصل المعز إلى
الأسكندرية لست بقين من شعبان سنة ٣٦٢ هـ وتوجه إليه من مصر
القاضي والشهود والأعيان واستقر بقصره بالقاهرة يوم الثلاثاء
السابع من شهر رمضان سنة ٣٦٣ هـ .

(١) في الأصل (تنصرون) والصحيح حذف النون .

وكان جوهر قد هيا له هدية وتلقاه بها وهي أربعة أقفاص
منجوتة من عود محكمة الصنعة بحلية من فضة بمسامير فضة ، يحمل
كل قفص منها أربعة رجال ، فيها أواني ذهب وفضة ويتبع ذلك
أربعة خدم يحمل كل واحد منهم خمسة أسياف بحمائل إبريسم محلاة
بالذهب وخادمان بأيديهما أدراج فضة فيها خواتم فضة ، فصوصها
يواقيت وجوهر كثير و غلام يحمل غلاف خيزران فيه تاج مرصع ،
والمعز أول من تتوج منهم وفيه يقول ابن الأندلسي (١) :

وعند ذى التاج بيض المكرمات وما

عندى له غير تمجيد وتمجيد

وتسع من النوق عليها أجلة ديباج ملونة وثلاثون (٢) قبة على
ثلاثين ناقة بمناطقها ولبها ومقاودها وأنفارها فضة ، على كل ناقة
منها حلتان من ديباج ومنها خمس عشرة ناقة قباها مذهبة مرصعة

(١) ابن الأندلسي : والصواب ابن هاني الأندلسي — من قصيدة قالها في مدح
المعز لدين الله أولها :

أقوى المحصب من هاد ومن هيد وودعونا لطيات عباد بيد (١)
(انظر ديوان ابن هاني تحقيق كرم البستاني صفحة ٤٢ طبعة دار صادر
بيروت) . أقوى : خلا المحصب : موضع رمى الجار بمنى . هاد وهيد : من زجر
الإبل واستحثاها على السير وأراد : خلا من السكان . طيات الواحدة طية : الجهة
التي تقصد في السفر . المباديد : البعيدة .

(٢) في الأصل (وثلاثين) والصواب لرفع .

بالزجاج ، وخسمائة رفاص على يد كل واحد منهم سفطان أو تختان من خز العراق ومن كل نوع من أنواع الأمتعة ، وأربعة أفراس بسروجها ولجمها ومقاودها حرير تجتنب إلى كل منها ناقة بسرج ذهب مفرغ ولجام ذهب مرصع بالياقوت وفرس عليه سرج ذهب مرصع بالعنبر ، وأربع بغلات بسروجها ولجمها ولها مقاود من هذا النوع ، وست وثلاثون (١) بغلة بأجلة ديباج وبراقع ديباج ملونة ، ومائة وثلاثون بغلا بالأكف وخلفها من الجمال والنجيب فوق الخمسمائة ومن العين ستمائة ألف دينار وجربان فيهما فرشان أقام الصناعات في عملهما سنتين وأنفق عليهما في الأجرة عشرة آلاف دينار.

وكان الحسين بن أحمد القرمطى (٢) قد وصل إلى دمشق (وتغلب عليها) وقتل جعفر بن فلاح (٣) واستولى القرامطة على البلاد ، وصاروا إلى الرملة ، فخرج المعز إليهم ، وكانت بينهم الواقعة المشهورة في اليوم الأحمر فانهزم القرمطى وقتل من أصحابه خلق كثير وأسر منهم فوق الألف ، ورجع المعز إلى مصر وأقيمت الدعوة

(١) في الأصل (وثلاثين) .

(٢) الحسين بن أحمد القرمطى : أبو سعيد الجنابي اسمه الحسين بن بهرام تغلب على الشام سنة ٣٥٧ وكسر جيش جعفر بن فلاح وناب بالشام عن المعز الفاطمي ثم قتله المعز على ما هو وارد وكان شاعراً أورد له ابن عساكر أشعاراً كثيرة كتب بعضها إلى جعفر بن فلاح يهجو ويهجو الخلفاء الفاطميين (انظر البداية والنهاية ج ١١ ص ٢٨٧) .

(٣) جعفر بن فلاح : هو أحد قواد الصقلي . وقد ورد آنفاً .

في مصر وديارها والشام والحجاز مع إفريقية كلها والمغرب باسمه . ولما استوثق له (١) الأمر بهذه الأقاليم تم الأمر وجاء الذي لا بد منه ولا محيص عنه فأصابه مرض نفساني كان سببه الحولادة رسول ملك الروم بالقسطنطينية فحم منه ، وتوفي في القاهرة في يوم الجمعة الحادى عشر من شهر ربيع الأخير سنة ٣٦٥ ، وكانت ولايته ثلاثاً وعشرين سنة وخمسة أشهر وأربعة أيام ، وكانت ولاية جوهر بمصر أربع سنين وسبعة عشر يوماً ، وفي فتح مصر يقول محمد بن هانيء الأندلسي :

تجهز إلى بغداد قد فتحت مصر
وأنجز صرف الدهر ما وعد الدهر
وقد جاوز الإسكندرية جوهر
تطالع به البشرى ويقدمه النصر
وقد أوفدت مصر إليه وفودها
وزيد إلى المعقود من جسر هاجس (٢)

وهو الذي بنى الإيوان بالمنصورية (٣) وبقي المعزية بها ، وبنى

(١) أى للمعز الفاطمي .

(٢) وزيد إلى المعقود من جسر هاجس : لعله أراد بزيادة الجسر أن جسراً واحداً لم يكن كافياً لممر جيش جوهر عليه فزيد جسر آخر .

(انظر ديوان ابن هانيء صفحة ٦٠ طبعة دار صادر ١٩٥٢) .

(٣) المنصورية : مدينة بقرب القيروان من نواحي إفريقية استحدثها المنصور

ابن القائم بن المهدي الخارج ، بالمغرب سنة ٥٣٣٧ وعمر أسواقها واستوطنها ثم =

قناطر في الماء عليها ، وله آثار ، وأخبار ، أغنانى عنها الاشتهار ،
وأن مقصودى الاختصار ، والمملك لله الواحد القهار .

أبناءؤه نزار العزيز ولى عهده ، والخليفة من بعده ، وعبد
الله وتيم (وهو تيم بن المعز الشاعر) والذي يحاذى أبا العباس
عبد الله بن المعز المتوكل في التشبيهات (١) والتوجيهات ويحاذيه في
سلوك ألفاظ الملوك ، وكان أبوه قد ولاه العهد ثم خلعه ، لأنه
كان لا يولد له ، وكانوا لا يولون الخلافة إلا ابن خايقة وعقيل ،
وسبع بنات . حاجبه جعفر بن على ثم عمار (و) حامل مظنته شفيخ
الفتى ، نقش خاتمه (توحيد الإله الصمد) ، دعى الأمير معد ،
والأمير (٢) بإفريقية والمغرب بلكين بن زين بن مناد الصناجى وكان
قد سماه يوسف وكناه أبا الفتوح ولقبه عدة العزيز بالله يعنى ابنه .

= صارت منزلا للملوك الذين زعموا أنهم علويون وملكوا مصر ولم تزل منزلا للملوك
إفريقية من بنى باديس حتى خربتها العرب لما دخلت إفريقية وخربت بلادها بعيد
سنة ٥٤٤٢ هـ فكانت هي فيما خربت في ذلك الوقت وقيل سميت المنصورية بالمنصور
ابن يوسف بن زيري بن مناد جد بنى باديس وأكثر ما يسمون هذه التي بإفريقية
مخاضة المنصورية بالنسبة .

(انظر معجم البلدان ج : ٥ صفحة ٢١١ طبعة دار صادر ١٩٥٧) .

(١) في النسخة الأصلية (التنيها) .

(٢) هكذا في الأصل ولعل المقصود نائبه أو أميره .

العزيز

هو نزار أبو المنصور ولد بالمهدية يوم الخميس الرابع عشر
من محرم سنة ٣٤٤ وولى العهد بمصر يوم الخميس العاشر من ربيع
الأخير ٣٦٦ وولى الخلافة في الحادى عشر من هذا الشهر وسرت
وفاة المعز إلى يوم النحر من هذه السنة ، فسلم عليه بأمر المؤمنين
وركب إلى المصلى وصلى بالناس في المصلى وخطب فقرن نفسه
وجميع الناس ورجع إلى قصره فدخل عليه عمه جندرة وهاشم
وعم أبيه أبو الفرات ، وكان نزار هذا أسمر طويلا أصهب غير
سفاك للدماء جيد البصر بالخيال والجوارح والجواهر والتبر ، محبا
للصيد والركوب حسن الخلق ، وسار إلى مدينة الرملة وظفر
بأنتك التركي (١) غلام معز الدولة الديلمى وزير (٢) صاحب بغداد
في محرم سنة ٣٦٨ بعد أن كانت له وقائع وأنفق عليه أموالا وعفا
عنه واصطنعه .

(١) في حوادث سنة ٣٦٧ وردت الوقعة التي كانت بين العزيز بن المعز الفاطمى
وبين الفتكين غلام معز الدولة صاحب دمشق فهزمه وأسره وأخذ معه إلى الديار
المصرية مكرما معزراً وتسلم العزيز دمشق وأعمالها .

(٢) وردت في الأصل (ويزى) ولا معنى لها - والمعروف أن معز الدولة
الديلمى قلده صاحب بغداد الخليفة الطائع الإمارة وخلع عليه وأعطاه اللواء ولقبه
بنور الدولة وكانت مدة أيامه شهرين وثلاثة عشر يوماً . . وبالتالي ، فالصحيح
أن يقال : أمير أو حاجب أو ما إلى ذلك وقد استعملنا كلمة (وزير) لأنها أقرب
إلى الأصل .

قال إبراهيم بن أبي القاسم الكاتب المعروف بابن الرقيق في أخبار إفريقية : توفي العزيز ببليس وكان بها مبارزاً للروم في جميع عساكره وجيوشه ، وكانت به علة الحصى ، وكان الطبيب يطب له دخول الحمام فيجد له راحة فدخله يوم الثلاثاء لثلاث بقين من شهر رمضان من هذه السنة ، وعمل له دواء وشربه في حوض الحمام فأدركه أجله ، فمات من ساعته وليس معه من الرجال إلا ابن النصرانصراني الطبيب وغلामه ابن جوان الخادم ، فأخرج من الحمام ميتاً ، وحمل إلى القاهرة فدفن بها ، وقال القاضي مؤلف الشهاب في تاريخه : توفي وهو مبارز بعد الظهر يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من رمضان سنة ٣٨٦ وله اثنان وأربعون سنة فكانت ولايته خمسا وعشرين سنة وخمسة أشهر وخمسة وعشرين يوماً ، قال القاضي ولم يلقب في خلافته كلها إلا أربعة (العزيز) يعقوب بن كلس وبلكين (ابن زيرى) سيف العزيز بالله (والمنصور) عدة العزيز بالله (وابنه باديس) ناصر الدولة ، نقش خاتمه بنصر العزيز الجبار ينصر الإمام نزار .

الحاكم

هو أبو علي (١) منصور بن العزيز بالله ولد عند آخر الليل بمصر ليلة الخميس الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ٣٧٥ وولاه أبوه العهد سنة ٣٨٣ وولى الخلافة يوم الخميس سلخ شهر

(١) في الأصل (ابن) .

رمضان سنة ٣٨٦ وعمره إحدى عشرة (١) سنة وستة أشهر ، فلم يزل خليفة إلى شوال سنة ٤١١ ، فخرج ليلة الاثنين السابع والعشرين من شوال فطاف ليلة كلها على رسمه فقبل إنه كان يخلو بنفسه في الجبل المقطم (٢) لاستئزال الروجانية وزحل وكان صاحب نجوم ورصد له الزنطجا الحاكمي المعروف .

وحدثني الشيخ الفقيه الشيخ المعمر أبو الحسن علي بن محمد بن عثمان التميمي القلعي رحمه الله تعالى أنه رأى بمنصر الآلة التي رصد بها مرفوعة على برجين اثنين بنيا لها آلة من نحاس على هيئة الاسطرلاب قال فقصت بشري في أحد بيوت البروج الأثني عشر وهو برج الحوت ثلاثة أشبار .

فطاف الحاكم ليلته كلها ثم أصبح عند قبر الفقاعي ثم توجه إلى شرقي حلوان ومعه ركيبان فأعاد إحداها مع تسعة من العرب السويديين إلى بيت المسال لأخذ جائزة أموالهم ، فضال (٣) ، ثم أعاد الراكي الآخر فذكر هذا الراكي أنه خلفه عند القبر والمقصبة وبقى الناس على رسالهم يخرجون في كل يوم يلتمسون رجوعه ويخرجون معهم فرسا مسروجا ملجما مبرقعا من مراكيبه ينتظرونه ، ولم يزل هذا رسمهم إلى آخر أيام بني عبيد ، وكانوا يسمون هذا

(١) في الأصل (وعشرون) والصواب ما ذكرناه .

(٢) في الأصل (المحطم) والصواب ما ذكرناه .

(٣) نرجع أنها (فضل) .

الفرس النوبة ، وهذا الرسم من خروج المركوب غلوة كل يوم هو الذى اتبعه ملوك صنهاجة بإفريقية وبالقلعة وبجاية ، وكانوا يسمونه (تسايست) أى (استايست) إلى آخر أيامهم ، يخرج القائد كل يوم بالجيش عن البلد فيمشى مسافة معلومة إلى موضع معلوم فيقف برهة ثم يرجع إلى باب السلطان فيقف إلى أن يؤذن له فى الانصراف ، فلما كان فى يوم الأحد الثالث من ذى القعدة خرج مظفر صاحب المظلة ، وحضى الفتى ، ونسيم متولى السر ، وابن سنكين التركى صاحب الرمح ، وجماعة من الأولياء الكاتمين وهم الخاصة ، فبلغوا دير القصير ، ثم الموضع المعروف ببسلان ثم أمعنوا فى الدخول إلى الجبل ، فبينما هم كذلك إذ بصروا بالحمار الذى كان راكبا عليه ، على قنة من الجبل فوجلوه قد ضربت يده بالسيف ، فأثر السيف فيهما ، وعليه سرجه ولجامه ، فتبع الأثر فإذا أثر الحمار فى الأرض وأثر رجل خلفه ورجل قدامه ، فلم يزالوا يقصون هذا الأثر حتى انتهوا إلى البركة التى فى شرق حلوان ، فنزلها رجل من الرجال فوجد فيها ثيابه وهى سبع جباب صوف ووجدت مزرعة لم يحل أزرارها ، وفيها أثر السكاكين فأخذها ماضى ، وجاء بها إلى القصر ، فلم يشك فى قتله . هذا قول القضاعى فى مقتله ، وقال غيره إن شبانا من أهل القيروان والأندلس كنوا له فى الجبل ، فلما ظفروا به قتلوه وألقوه فى النيل ، وقيل إنهم كانوا من المصادمة (١)

(١) الصحيح : المصادمة .

والله سبحانه أعلم أى ذلك وكيف كان (وإن كان كما قيل ، يستنزل كيوان ، فلما غفل عنه كيوان ، يقضون بالأمر عنها وهى غافلة ، ما دار فى فلك منها ولا فى قطب) ، وكان عمره يومئذ ستا وثلاثين سنة وسبعة أشهر ، وكانت ولايته خمسا وعشرين سنة وشهرا واحدا وكان ولى عهده عبد الرحمان بن إلياس بن أحمد بن عبيد الله ، فلما قتل الحاكم قبض عليه وقتل .

وكان الحاكم جوادا بالمال سفاكا للدماء ، قتل عددا كثيرا من أمائل أهل دولته وغيرهم صبورا ، وكانت سيرته من أعجب السير ، وبني الجامع براشدة ، والجامع بظاهر القاهرة المغزية ، وأنشأ عدة مساجد بالقرافة وغيرها ، وحمل إلى الجامع من المصاحف وآلات الفضة والستور وحصر السمار بماله قيمة طائلة .

وجرت فى أيامه أمور كثيرة عجيبة ، منها أنه كان فى صدر خلافته أمر بكتب سب الصحابة على حيطان الجوامع والقياسير والشوارع والطرقات ، وكتب السجلات إلى سائر الأعمال بالسب وكان ذلك فى سنة ٣٩٥ ، ثم أمر بقلع ذلك ونهى عنه وعن فعله فى سنة ٣٩٧ وتقدم بعد ذلك بمدة ، فضرب من يسب الصحابة وشهره ، وكان فى شهر رمضان من سنة ٣٩٩ يمنع الناس من صلاة التراويح ، واجتمع الناس فى الجامع وتخوف من سوء العاقبة ، فلم يصل التراويح ، وتقدم أبو الحسن بن جد الدقاق فصلى بالناس الشهر كله أجمع ، وقتل بعد ذلك فى اليوم الثانى من ذى القعدة فى

السنة ، ولم تصل التراويح إلى سنة ثمان وأربعمائة ، فخرج المعز في هذه السنة (١) بالأمر فيها وقرر بالمساجد والجوامع بمصر والقاهرة ومن يصلى فيها ، ولم يزالوا يصلون التراويح إلى آخر خلافته .

وكان أمر بقتل الكلاب في سنة ٣٩٥ فلم يكن يرى كلب في الشوارع والأزقة إلا قتل ، وكان نهى عن بيع الفقاع والملوخيا وكعب الترمس المتخذة والجرجير والسملك الذى لا قشر له ، وأمر بالتشديد في ذلك والمبالغة في تأديب من يتعرض لبيع شيء منه وظهر على جماعة أنهم باعوا شيئاً من ذلك فضر بهم بالسياط وطيف بهم وضربت أعناقهم .

وفي سنة ٤٠٢ منع من بيع الزبيب قليله وكثيره على سائر أنواعه وأصنافه ، ذكر أن مبلغه ألف وثمانمائة قطعة وأحرق جميعها بظاهر الجرا على شاطئ النيل ، وذكر أن مقدار النفقة على إحراقها خمسمائة دينار .

وفي هذه السنة منع من بيع العنب وأنفذ الشهود إلى الجزيرة ، حتى قطع كثيرا من كرمها ، وشيدت بالمصر ، وجمع ما كان في المخازن من جرار العسل ، ذكر أنها كانت خمسة آلاف قطعة ،

(١) المراد : المعز بن باديس ، الذى ضرب الشيعة في إفريقية في سنة ٤٠٧ ، أو ٤٠٨ هـ وتعقب الروافض ، وفرح بذلك الناس . ولعل هذا كان له تأثيره في تخفيف الضنط على المسلمين في مصر ، فترك لهم أمر صلاة التراويح .

وحملت في محرم سنة ٤٠٣ بمحضر الشهود إلى وسط الجسر وكسرت وقلبت في البحر .

وفي هذه السنة رفعت المكوس على جميع الغلات الواردة إلى السواحل والأسواق ، ثم رفعت بعد ذلك مكوس الرطب ودار الصابون والحرير والشرطتين وعدة مواضع .

وفي هذه السنة أمر النصارى واليهود إلا الحبايرة (١) بلبس العمام السود والطبالسة السود ، وأن تحمل النصارى في أعناقهم من الصليب ما يكون طوله ذراعا ووزنه خمسة أرطال ، وأن تحمل اليهود في أعناقهم قرائن الخشب على مثل الوزن المذكور ، وأن لا يركبوا شيئا من المراكب المحلاة ، ولا يستخدموا أحدا من المسلمين ، وأن لا يركبوا خماراً إلا أن كان مسلم (٢) ولا سفينة يؤتيها مسلم وأن يكونوا (٣) في النصارى إذا دخلوا الحمام الصليب وفي أعناق اليهود الجلاجل لتمييزوا بها عن المسلمين ، ثم أفردت الحمامات لليهود والنصارى عن حمامات المسلمين وخط على حمامات النصارى صور الصليب وعلى حمامات اليهود صور القرامين (٤) ونهى عن تقبيل الأرض لأمر المؤمنين وعن الدعاء له بالصلاة في

(١) المراد الأحبار .

(٢) لعل المقصود (إذا كان لمسلم) والعبارة مرتبكة على أى حال .

(٣) لعل الصواب (وأن يكون) .

(٤) ربما كان (القرنين) .

الخطب عليه ، وأن يجعل عوض ذلك السلام على أمير المؤمنين ، ونهى عن التكلم في علم النجم ومنع النساء (١) من الخروج إلى الطرقات والحمامات مدة سبع سنين إلى خلافة الظاهر (٢) هذا كله قول القضاعي في تاريخه ، وهذا التطور والتغير والتأثر لم كان والله سبحانه أعلم بجدلات الاستنزالات والسخافات الموجودات في تلك الخرافات ، ولو صح بعض ذلك لعصمه الله من المهالك وهيات هيات الأمر كله لرب السماوات .

ويقال إن الذي وجد في خزائن بني عبيد عند انقراض دولتهم واستواء المعز على مملكتهم من الأموال والذخائر والأعلاق والجواهر لم يوجد مثله (عند) القياصرة والكياسرة ثم إن الجند كانوا يقتسمون الجواهر النفيسة بالمكايل والكبار مثل اللوبيا ونحوه وكانوا يقطعون

(١) يوصف الحاكم بأنه كان كثير التلون في أحكامه وأقواله وأفعاله جائراً يروم أن يدعى الألوهية كما ادعاه فرعون ، ويقال : إنه أمر أهل مصر على الخصوص إذا قاموا عند ذكره خروا سجداً له حتى إنه ليسجد بسجودهم الرعاع في الأسواق من لا يصل الجمعة فيتركون السجود لله ويسجدون للحاكم ، وهذا الوصف يحمل الحاكم شخصاً مجنوناً ولا تعتبر بالتالي أفعاله ضد أهل الذمة حجة على الإسلام ، وفي قصة قتله خلاف ويبدو أن لأخته يدا في قتله بالتعاون مع ابن دواس (انظر حوادث سنة ٤١١ في البداية والنهاية لابن كثير) .

(٢) بعض النصاري المفرضين ومنهم (١ - ترتون) صاحب كتاب (أهل الذمة في الإسلام) يعتبرون أعمال الحاكم اضطهاداً دينياً لهم ، وينسون ما قيل في جنون الحاكم ، كما ينسون مظالم الحاكم ضد المسلمين أنفسهم فظالم الحاكم مظالم عامة وليست خاصة بطائفة .

العنبر والكافور بالفرس من الجرارات البادهنجات ، ويقول (١) : أصل هذه الأموال لا ينفي بها خراج المعمور من المعمور على من الدهور على ما كانوا يخرجونه من تجهيز الجيوش وعمارة المدن وإقامة الرسم وحفظ الهمم وإجراء الأرزاق وإنما هي من الكنوز التي استخرجها الحاكم من أرض مصر التي هي محل الهياكل القديمة والمدائن العظيمة وإنه مما أفاء من تلك الأحاد .

وذكر أن رجلاً استأذن عليه فلما دخل ومثل بين يديه إذ هو قد تغير وجهه وشحب لونه وهو أشعث أغبر وعليه أثر السفر ، فلما سلم أمره بالجلوس وتركه حتى سكن وتأنس ورجعت إليه نفسه ثم قال له : من يكون الرجل ؟ فقال له : أنا رجل من أهل حوران وكنت خرجت من بلادى فوقعت البجا (٢) فكنت عند رجل منهم وللقوم جمال يتراهنون بها ويتسابقون عليها وتعلمت ركوب تلك الجمال والمسابقة عليها ، فكان الرجل الذي كنت عنده يأمرني بالمسابقة عليها فركبت يوماً فلما استويت على ظهره ضربته فاندفع بي كأنه البرق فما علمت هل أنا في بر أو في بحر ، ولم أقدر على إمساكه فلما كان آخر النهار برك بي على عين تجرى فنزلت وشربت من مائها ، وإذا حصي العين ياقوت أحمر وأنا لا أدري في أى موضع أنا من بلاد الله ، فبت بذلك الموضع ، فلما أصبحت ملأت بخلة

(١) لعله (القضاعي) .

(٢) إلى بجان أى نزلها .

كانت معي كنت لا أفارقها لأسباب كانت فيها ، فأزلت الأسباب وملاأت المخلاة من ذلك الياقوت ، وركبت الجمل وسرت به بين مشى وجرى طول النهار ، ولم أزل على ذلك شهرا أقتات بنبات الأرض وأرعى الجمل منه إلى أن وصلت مدن عدن فدخلتها وبعث من ذلك الياقوت بمائة دينار ، وسرت مع أهل اليمن إلى الحجاز ، وقلمت الآن من الحجاز وأخرج له المخلاة فإذا فيها أحجاز ياقوت نفيسة كثيرة ، فأرسل إلى الجوهريين وأراهم ذلك وذكر لهم المسألة ، فقال له رجل منهم : يا أمير المؤمنين عندي خبر تلك العين وهي في أقصى بلادهم المجاورة لأرض الهند وقليل من رأى تلك العين ، فوصل الحاكم الرجل وأحسن إليه وأجازه وخيره في الانصراف أو الإقامة بمصر فاختر الإقامة فأمر له بدار سرية ومن الفروش ما يليق بها وأجرى عليه ما يليق به .

ذكر الوسائط في أيامه : كان أبو القاسم أحمد بن علي الجرجرائي يخدم في بعض الدواوين فتقم عليه الحاكم شيئا فأمر بقطع يديه معا فما التاع ولا ارتاع مما أصابه ولا هلع ولا جزع ، وعصب يديه إثر قطعها ، ثم انصرف من وقته إلى موضعه من الديوان فجلس لخدمته على عادته ، فلما رأى الناس يعجبون ولا يصرفون أبصارهم قال لهم إن أمير المؤمنين لم يعزلي وإنما عاقبني لخيانتي ، فلما بلغ ذلك الحاكم استعظمه وشرف لديه ورفع به إلى الوزارة فوزره هو وابنه الظاهر وابنه المستنصر نحو ثمانين سنين ، وكانت سيرته محموددة وآثاره

مأثورة ، ومات سنة ٤٨٦ هـ وهو الذي أدخل العرب إلى إفريقية عندما خلع المعز بن باديس الصنهاجي لبني عبيد على ما ذكر .. القضاة في أيامه ابن النعمان وزاد قضاء الشام وسائر أعماله إلى دمشق وبيت المقدس إلى الشريف أبي طالب الحسن بن جعفر المعروف بابن بنت زيري وكان الحاكم هذا ولي عهده عبد الرحمان بن إلياس بن عبيد الله ، فلما فقد الحاكم قبض على عبد الرحمان وقتل وولى على ابن الحاكم .

الظاهر

هو أبو الحسن وقال أبو حزم هو أبو الأشبال علي بن منصور الحاكم ، ولد بمصر يوم الأربعاء سنة ٣٩٥ وبويع له بالخلافة يوم عيد النحر سنة ٤١١ وكفلته عمته سيدة الملك وكانت المؤيدة للملك والقائمة به ، ومات ليلة النصف من شعبان سنة ٤٢٧ وله من العمر اثنان وثلاثون سنة إلا أيام ، وكانت ولايته خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وخمسة أيام ، وكان وزيره والغالب على أمره الجرجرائي الأقطع الذي تقدم ذكره ، وجرجريا بالعراق ، وخرج على الظاهر رجل من بني أمية وهو الوليد بن يزيد زعم أنه من ولد هشام بن عبد الملك بن مروان ، وكان يعرف بأبي ركوة وكان القائمون به بني مرة ، غلب على كثير من بلاد قران في سنة ٤١٥ ودخل مدينته لك وسلم عليه بالخلافة ، وكتب إلى بني هذيل يدعوهم إلى كسر منبر بني أبي عبيد ولعنهم وخطب له على منبر لك وترحم على أئمة

بنى أمية ، وضيق على مصر فصالح صاحب مصر بنى مرة بالأموال الكثيرة ، وخسر لأمرهم ماضى بن بمقرب عشرة (١) آلاف دينار وعشرين تختاً من رفيع الثياب ، فوثبوا على الأموى وأوثقوه ، وحملوه على جمل ، فلما رأى ذلك شرب الزرنىخ فمات فحملوه ميتاً إلى مصر وصلب على شاطئ النيل .

المستنصر

لما مات الظاهر نصب الجرجرائى مكانه ابنه معدا طفلاً صغيراً أسمر اللون يسمى معدا مثل جده ، أخذ المعز وكناه أبا تميم لكنيته ولقبه المستنصر بالله ودبر سلطانه الجرجرائى ، وكان موصوفاً بالسياسة وجميل المذهب وكثرة العفو ، وفى أيامه خلع المعز ابن باديس الصنهاجى صاحب إفريقية لبنى عبيد ، ودعا لبنى العباس فقال الجرجرائى لا تكلف له ولا تجهز له جنوداً ودبر إجازة العرب النيل إلى إفريقية (٢) فلما وصلوا إليها ودخلوها كان ذلك سبب خرابها وذهاب ملك صنهاجة منها (٣) إلا ما تتركه حسبا هو المذكور فى تاريخ إفريقية ولم يملك من بنى عبيد من بنى المستنصر

(١) فى الأصل (بشرة) .

(٢) المقصود بها المغرب الأدنى (تونس) .

(٣) المراد ملك بنى زيرى الصنهاجيين (من صنهاجة الشمال) أما بقية صنهاجة الشمال فهم بنو حماد فى المغرب الأوسط (الجزائر) فلم يتأثروا كثيراً بالزحف الهلالي . فلما ملك المرابطون وهم صنهاجة الجنوب نجحوا فى استخدام وتحضير بنى هلال .

ملك ، وفى سنة ٤٦٤ من ملكه كانت بمصر وقعة كوم الريش بين الأتراك والمغاربة فمات فيها فى يوم واحد بين الفريقين اثنا عشر ألفاً وقامت الفتنة بينهم أربع سنين وامتنع الناس من الحرث والعمارة ، وغلت الأسعار وفقد الطعام بمصر فمات أكثر الناس جوعاً ، ولم ير بمصر جوع مثله من زمن يوسف الصديق عليه السلام وهذا الذى وجدت من أخباره فيما ذكر ابن حيان .

المستعلى

هو ابن المستنصر على ما يقال ولم أجد له خبراً ولم ألحق له اسماً وقيل إن اسمه أحمد ورأيت كتاباً عنه وفيه علامته وهى الحمد لله على آلائه .

الأمير

لم أعرف له أيضاً اسماً ولا وجدت له خبراً إلا ما حدثنى الفقيه القاضى أبو المكارم هبة الله المصرى رحمه الله تعالى قال اجتمع عشرة من الحشيشية ودخلوا فرن خباز على طريق الأمر فى يوم خرج فيه إلى بعض نزمه فأكلوا فى الفرن خبزا بعسل وتباطؤوا إلى أن مر بهم راجعا من نزمه ، وقد حصل فى طريق ضيق عند الفرن ، وصار رجاله الذين بين يديه واحداً بعد واحد لضيق الطريق فوثبوا على الخليفة بسكاكين وصار أجدهم خلفه على كفل مركوبه فأنفلوا مقاتله وقتل منهم تسعة ووصل إلى قصره وبه رمت الحياة ثم مات من يومه .

الحافظ عبد المجيد

كان الحافظ من بيت الخلافة ولم يكن ابن خليفة وكان (ابن رئيسهم) (١) ومذهبهم ألا يولوا الخلافة إلا ابن خليفة ، فمات الأمير ولا ولد له إلا ما يتوهم في البطون ، (ولذلك) (٢) بالحافظ ، فلما لم يظهر حمل (٣) قال عبد المجيد الحافظ لداعيه ، وهو الذي يأخذ لهم البيعة ويقوم بالدعوة بايع لي فأبى وامتنع ، وخلي عنه ودفع فعزلوه وقدموا داعياً آخر فبايع له ، وهذا أيضاً حدثني به أبو المكارم رحمه الله تعالى ، وليس عندي سواه .

الظافر

وهو يوسف بن عبد المجيد الحافظ (٤) كان وزيره المعروف بالعادل وكان ابن العادل حسن المنظر بديع الجمال ، وكان الظافر إليه مائلاً وكان يتنكر ويمشي معه في الليل أزقة (٥) مصر فرميت للعادل بطاقت في الظافر وفي ابنه ينزونه به فذكر ذلك لابنه ، وقد خرج ليلة على عادتهما ويصرفون سهام المكر إليهما ، فلما قرب من

(١) هكذا في الأصل ، ونرجح أنها (من رأيهم) .

(٢) هكذا في الأصل ، ونرجح أنها (ولقب) .

(٣) هذا الأسلوب من المصائب التي ابتليت بها الأمة الإسلامية (!!) وأين شروط الخلافة إذن ؟ ! ! بل أين الشورى وحق الأمة ؟ ! ! — لكنه السلوك الفاطمي الغريب ! !

(٤) نرجح أنها (الظافر) .

(٥) نرجح أنها (بأزقة) .

داره رغب إليه أن يشرفه فأدخله عنده وأن يؤكد بذلك حبه له ، وود الاستعفاء بدخوله وأراد تضمن مسرته والمبالغة في مبرته ، فلما تمكن به في الدار ضرب عنقه وأعناق فتيان كانوا معه ، وأفلت فتي صغير السن فاستخفى عند فتيان ابن العادل ، فلما أصبح أطلع أباه على الخبر وأعلمه أنه قطع الأمر ، فحصن العادل القصر وأخذ يغالط الأمر ، فاستأذن فيما أظهر على الظافر وطلب خروجه ، وكان من عادة أهل مصر في تلك الدولة يسلمون على الخليفة في كل يوم اثنين وخميس على طبقاتهم الوزراء أولاً ثم الكتاب ثم القضاء ثم الفقهاء ثم القواد والأجناد ثم أعيان العامة واتفق ذلك أحد اليومين فاعتذر لإخوة الظافر عنه ، وكان المتكلم عنهم أخ لهم يسمى جبريل ، فلما اشتد (١) عليهم ولم يقبل منهم قال القوم ابنك خرج به البارحة ولم يرجع فقال لهم العادل إنما قتلتموه لتكونوا مكانه وقتلهم كلهم ، وأخرج ولده الفاتر وهو ابن سبع سنين أو نحوها ، فأجلسه مجلسه وبايعه وانتهى خبر مقتل الظافر على لسان الفتى الصغير المذكور الذي سلم من القتل إلى أخت الظافر وإلى الأولياء والقواد الرؤساء في كافة أعمال مصر تخبرهم بذلك وتستصرخهم وأحس العادل ذلك فأخذ مائة ألف دينار وفر من مصر ، فكتبت الأخت إلى النصاري فقطعوا به الطريق وأسروا له ولدا فاشتريته منهم بجملة مال وعذبتة إلى أن مات وانقرض العادل وبنوه . وهذا حدثني به أبو المكارم أيضاً رحمه الله .

(١) في الأصل (تشد) .

الفائز

هو كما تقدم ابن الظافر ولم أجد له خبراً ولا عرفت له اسماً .

العاضد

ما أعجب هذا اللقب (! !) العاضد هو القاطع ، وعليه انقطع أمرهم وانحل عقدهم وانثر عهدهم وأين الذي بنى الإيوان وغمدان (! !) ومن الذي يبق على الحدثان (! ! ؟) هو عبد الله ابن يوسف الظافر وكان فتي صغير السن أسمر اللون وكان وزيره يسمى سابور واتفق لهم أن استدعوا الغز ليتخلوهم ويستظفروا بهم فوصلوا ورئيسهم أسد الدين ، ومعه ابن أخيه يوسف بن أيوب المعروف بصلاح الدين ، ووقعت فتنة تنافروا في الوزارة التي هي كالإمارة (١) ، قتل فيها الوزير سابور وجلس أسد الدين مكانه ، وولى خطته . والعاضد في الأمر كواو عمرو (٢) ثم توفي أسد الدين عن قليل ، فولى ابن أخيه يوسف بن أيوب وهجمه العاضد وهاجر (٣) من أهل بيته الأقارب والأباعد ، وكان يعتقد ويسر فيهم حشوا في ارتقاء الناس إلى أن ألغز عليهم في الخطبة باسم المستنجد صاحب بغداد إذ ذلك وكأنه جعل ذلك صفة للعاضد ، فقال خطيبه اللهم

(١) يشير المؤلف هنا إلى أنه في هذا العهد كان للوزراء سيطرة الأمراء ..

وكان الأمراء ضعافاً ، وهذا العصر لقب بعصر الوزراء العظام .

(٢) أي أنه لا لزوم له وهذا منتهى السخرية بالخلفاء .

(٣) في إحدى النسخ (هجر) .

اصنع كذا وكذا للعاضد المستنجد بالله ، وقصد بذلك أن يذوق الناس ويدفع بالإيحاء الإيناس فلم يتحرك لذلك ولا استنطح عزازان وفي خلال هذا مات العاضد ومن قائل يقول مات حتف أنفه ومن قائل يقول بلسان الحال بيدي لا بيد عمرو سم بيده ، وقيل إن يوسف ابن أيوب سمه وانسلخ من لوح الحياة اسمه ، ولما مات سجي برداء أشرب وغطى ودخل عليه يوسف بن أيوب وأدخل الشهود والأعيان فراوه وقلبوه ، فلم يروا به مائر قتل ، ومشى ابن أيوب في جنازته راجلاً مشقوق العباء وقد لبس البياض وذلك في آخر سنة ٥٦٤ ، ونسخ يوسف دولة بني عبيد وأحكم دولة بني العباس ثم انقضت تلك السنون وأهلها ، فكأنها وكأنهم أحلام ، وهكذا الدهور ، وأهل الدهور ، وإلى الله تصير الأمور ، وتبع بنو عبيد فن عثر عليه سجنوه بدار القاهرة بقيتهم فيها إلى اليوم وهو سنة ٦١٧ ، فكانوا يتناسلون ثم منعوا النكاح لينقطع النسل ، ويذهب الفرع والأصل ، وكان قد أراد أن يطلقهم منذ سنين ، ويلحقهم بغمار المسلمين ، ثم أراد أن يستغنى في ذلك ويشاور ويطلع ويوامر ، فكتب إلى الفقهاء بالإسكندرية فاجتمعوا وأجمعوا أن كتبوا بقوله عز وجل «ها أنتم أولاء نجبونهم ولا يحبونكم ، الآية إلى قوله «بغيتكم (١)» وكتبوا بذلك إليه فأنفاهم حيث أنفاهم «وعند الله تجتمع الخصوم» ويلتقي الظالم والمظلوم ، إذ يلتقي كل دائن بما طله منا ويجتمع المشكو

(١) آل عمران ١١٩ .

والشاكى ، وحدثني بعض الطلبة الحجاج عن رجل كان فيهم
يسمى داوود أسمر أنه لو اطلع إلى أهل مصر لسجلوا (١) .

وكانت دولتهم كلها منذ بويق عبيد الله بسلجماسة إلى ان مات
العاقد عبيد الله مائتي سنة (٢) اثنين وثمانين وستين سنة ، انتهى
ما وجدناه ، وفي الأصل تحريف كثير لأن ناسخها وجد بالأصل
تحريفا كثيرا ونبه عليه .

وكان الفراغ من نسخها يوم الجمعة أوائل ذى الحجة
عام ١٢٦٥ هـ — ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

جلول

خلفاء الدولة الفاطمية

في المغرب ومصر

- ١ — عبيد الله المهدي ٢٩٧ — ٣٢٢ هـ (٩٠٩ — ٩٣٤ م)
- ٢ — القائم (محمد أبو القاسم) ٣٢٢ — ٣٣٤ هـ (٩٣٤ — ٩٤٥ م)
- ٣ — المنصور (إسماعيل أبو طاهر) ٣٣٤ — ٣٤١ هـ (٩٤٥ — ٩٥٢ م)
- ٤ — المعز لدين الله (معد أبو تميم) ٣٤١ — ٣٦٥ هـ (٩٥٢ — ٩٧٥ م)
- ٥ — العزيز بالله (نزار أبو منصور) ٣٦٥ — ٣٨٦ هـ (٩٧٥ — ٩٩٦ م)
- ٦ — الحاكم بأمر الله (المنصور أبو علي) ٣٨٦ — ٤١١ هـ (٩٩٦ — ١٠٢٠ م)
- ٧ — الظاهر لإعزاز دين الله (علي أبو حسن) ٤١١ — ٤٢٧ هـ (١٠٢٠ — ١٠٣٥ م)
- ٨ — المستنصر بالله (معد أبو تميم) ٤٢٧ — ٤٨٧ هـ (١٠٣٥ — ١٠٩٤ م)
- ٩ — المستعلي (أحمد أبو القاسم) ٤٨٧ — ٤٩٥ هـ (١٠٩٤ — ١١٠١ م)

(١) هذه مبالغة سمجة !!

(٢) لعلها : واثنيتين .

الفهرس

| الصفحة | الموضوع |
|--------|------------------------|
| ٣ | مقدمة (ترجمة المؤلف) |
| ٧ | مناقشة لنسب الفاطميين |
| ١٤ | رأينا في نسب الفاطميين |
| ٣٠ | المخطوط والتحقيق |
| ٣٣ | المخطوط مقدمة المؤلف |
| ٣٥ | عبيد الله المهدي |
| ٥٣ | محمد القائم |
| ٥٩ | المنصور |
| ٨٣ | المعز لدين الله |
| ٩٣ | العزیز بالله |
| ٩٤ | الحاكم بأمر الله |
| ١٠٣ | الظاهر لإعزاز دين الله |
| ١٠٤ | المستنصر |
| ١٠٥ | المستعلي |

- ١٠ — الأمر (المنصور أبو علي) ٤٩٥ — ٥٥٢٣ (١١٠١ — ١١٣٠ م)
- ١١ — الحافظ (عبد المجيد) ٥٢٤ — ٥٥٤٤ (١١٣٠ — ١١٤٩ م)
أبو الميمون
- ١٢ — الظافر (إسماعيل) ٥٤٤ — ٥٥٤٩ (١١٤٩ — ١١٥٤ م)
أبو المنصور
- ١٣ — الفائز (عيسى أبو القاسم) ٥٤٩ — ٥٥٥٥ (١١٥٤ — ١١٦٠ م)
- ١٤ — العاضد (عبد الله أبو محمد) ٥٥٥ — ٥٥٦٧ (١١٦٠ — ١١٧١ م)

| الموضوع | الصفحة |
|------------------------------|--------|
| الآمر | ١٠٥ |
| الحافظ عبد المجيد | ١٠٦ |
| الظافر | ١٠٦ |
| الفائز بن الظافر | ١٠٨ |
| العاقد (آخر الفاطميين) | ١٠٨ |
| جدول خلفاء الفاطميين | ١١١ |
| الفهرس | ١١٣ |

تم بحمد الله

دار العدالة

للطباعة والنشر والتوزيع

٣٨ شارع الإخلاص من شارع الفيوم دار السلام القاهرة

ت : ٩٨٤٣٣٢